

التينبكتي

الطوارق

Touareg

"عائدون لشور"

مشورات منظمة تامايثوت

التيينبكتي

الطوارق

TOUAREG

عائدون لنشور

منشورات منظمة تاماينوت

إهداء

إلى روح

الأمنوكال الثائر

تقديم

ألفت مكونات الحركة الأمازيغية بالمغرب، الحديث عن قضية الطوارق "عيمهوهاغ" كامتداد للشعب الأمازيغي في الصحراء الكبرى.

وكان التعريف بمعاناة الطوارق مع أنظمة الحكم التي ترزح تحت نيرها قبائل "عيمهوهاغ" شكلا من أشكال تأكيد هذا الامتداد. غير أن الطبيعة المناسباتية لهذه الأشكال وعدم إلمام النشطاء الأمازيغيين بحقيقة أوضاع الطوارق، حد من مفعول هذه الأشكال التضامنية، التي بدأت تغيب من أجندة النشطاء الأمازيغيين.

وسعيا منها لإعطاء نفس جديد لتضامن الشعب الأمازيغي المغربي مع الشعب الأمازيغي الطوارقي، تنشر منظمة تاماينوت هذا الكتيب الذي يختزل بين سطورهِ الكثير من المعلومات عن إخواننا في الجزء الجنوبي من تامازغا.

فوفاء منا لأرواح "عيمهوهاغ" ضحايا همجية أنظمة الاستبداد، ومساهمة منا في كشف هويات هذه الأنظمة وهول همجيتها سواء التي نفذت أو ساهمت.

واعترازا منا بالمناضلين الطوارق الصامدين، سواء الذين نعرفهم أو الذين نسمع عنهم...

ننشر هذا الكتيب آمليْن أن يكون فاتحة عمل تضامني مع الطوارق بنفس جديد يتجاوز حدود الكلام.

فشكرا لأخيْنا التينبكتي الذي سهر على تأليفه ووضع ثقته في منظمة تاماينوت لنشره.

تودرت عتيمازيغت

تودرت عيمهوهاغ

عبد الله حتوس

رئيس منظمة تاماينوت

قبائل الطوارق إموهاغ

واقعههم - أصولهم - مواطنهم - ثوراتهم

تمهيد:

هذه دراسة مبسطة عن الطوارق، وهم موضوع ينظر إليه البعض وكأنه من الكتابة عن العجائب، أو من أساطير الأولين، وهذه النظرة العجائبية ارتكزت على الحديث عن سكان الصحراء وشمال إفريقيا الأصليين وكأنهم مجرد ملاحق Supplements لأصول بشرية وحضارات أخرى من القارات أخرى، وترتكز النظرة العجائبية هاته على اعتبار السكان الأصليين في هذه المناطق قد أبيدوا وأنقرضت حضاراتهم القديمة، وحل محلهم مهاجرون حاملوا حضارات وأديان وثقافة من عوالم أخرى. ينظر البعض الى الطوارق اليوم، كمتمردين Les rebelles يهددون استقرار دول المنطقة، ولذلك فنحن في هذه الدراسة سنحاول التطرق الى إموهاغ «الطوارق» قديما من خلال بعض المصادر التاريخية المكتوبة، وأيضا بالاعتماد على بعض مظاهر حضارة المنطقة التي لا يزال يحتفظ بها الانسان "الطارقي"، وانطلاقا من الاعتماد على المنهج اللغوي Methode linguistique الذي يعتمد على تحليل الألفاظ اللغوية ويستشف حمولتها الحضارية، ودلالاتها التاريخية وعلاقتها بمحيطها الجغرافي، كما سنحاول التعريف بقضية الطوارق والمشاكل القائمة الآن، والأنظمة الحديثة التي خضعت لها قبائل الطوارق، ووضعيتهن الدستورية والادارية والثقافية وحركاتهم المعاصرة داخل الدول

الافريقية التي نشأت بعد الاستقلالات عن فرنسا ابتداء من سنة 1960، وعلاقتهم العضوية ببقية شعوب شمال إفريقيا (تامازغا). الطوارق لم يعودوا منقطعين في الصحاري، بل يعيشون هذا العصر كما تعيشه شعوب العالم الثالث كلها، ولهم علماء وفلاسفة وكتاب وصحفيون وفنانون، ولهم مهاجرون الى كل اقطار الدنيا.

راهن الطوارق 2006:

لم تعرف أيا من القضايا ذات الطابع الانساني تجاهلا وتهميشا من لدن العالم، شأن قضية الطوارق، فمنذ استقلال المنطقة وتقسيم فرنسا للقبائل الطوارقية بين دول -مالي النيجر- ليبيا والجزائر، ظل الطوارق يصارعون جور الأنظمة وظروف الطبيعة القاسية ولا مبالاة العالم المتحضر. على أن التوجهات السياسية للبلدان الخمسة المتقاسمة للارث الفرنسي الاستعماري، فرضت اختلافا في نظرتها لقبائل الطوارق وتعاملها معها، لكن ذلك لايعني بتاتا أن أيا منها تعامل بشكل أفضل معهم. أعادت انتفاضة الطوارق بعاصمة الجنوب الجزائري تمناست أواخر يوليوز 2005، وقبلها الحرب على الإرهاب وملاحقة الجماعات الاسلامية الجزائرية التي اتخذت من صحراء الطوارق قاعدة خلفية تنطلق منها لتنفيذ عملياتها، المسألة الطوارقية الى الواجهة في المنطقة. فالاهتمام الأمريكي الطامح الى نصيب لشركاته في كعكة الاشتكشافات البترولية بالمنطقة والمبرر بملاحقة الارهاب والتنازع الفرنسي المدافع عن مصالح يرى أنه الأولى بها بحكم العلاقة

الثقافية والاقتصادية والعسكرية... نتاج الماضي الاستعماري، يضاف اليها الدور المحوري الجزائري المتمسك بكون اية تغييرات أوتعاقدات تجري في المنطقة لا بد أن تكون بتوافق معها، دون نسيان المطامح القيادية الافريقية للتعديد معمر القذافي المدعوم أمريكا في المنطقة، كلها أسباب تجعل من الصراع حول منطقة الصحراء الكبرى مستقبلا حدثا يفرض على دول المنطقة التعامل معه بجدية.

الحركة الطوارقية والدول المحيطة أية علاقة؟

المغرب والطوارق

قد لا يعرف الكثير من المغاربة أن الفائز بجائزة محمد زفزاف الأدبية بأصيلة لسنة 2005 الكاتب ابراهيم الكوني طارقي كرس حياته للكتابة عن صحراء الطوارق وعن مجتمعهم وعاداتهم ومعاناتهم، ذلك كان موضوع الستين مؤلف التي نال بها الشهرة والجوائز العالمية وتمت ترجمتها الى العديد من لغات العالم، وورشته ليكون أحد المؤهلين لنيل جائزة نوبل للأدب، وحدة الموضوع تلك كانت مجال سخرية رئيس احدى الرباطات الأدبية المغربية، الذي لم يستسغ ترشيح الكوني لنيل جائزة الرواية العربية. من لهم دراية بتاريخ المغرب "كما كان وليس كما يفهم اليوم" يدركون العلاقات التي تربط قبائل الطوارق بالمغرب، أما علاقة الأخير بالحركة الطوارقية الحديثة فتعود الى أوئل الخمسينيات من القرن الماضي، حينما التقى ممثل الطوارق في برلمان المستعمرات الفرنسية الأمير "الأمونوكال"

محمد علي، الملك الراحل محمد الخامس بفرنسا وبايعه بناء على الروابط التي كانت تجمع المملكة المغربية بمنطقة الصحراء، وكان محمد علي على علاقة وثيقة بعدد من أمراء قبائل الترارزة بموريتانيا أعني الأمير فال ولد عمير ومن معه، ويقاسمهم نفس الرأي، والذين اتخذوا نفس الموقف فيما بعد. بعد هذا اللقاء وضع محمد علي نفسه رهن إشارة الملك محمد الخامس، واستقر بالمغرب بامكانياته الخاصة وحالت خلافاته مع قادة الحزب الوحيد والمسيطر حزب الاستقلال دونه والوصول الى الملك، لأنه لم يرضخ لشروط الاستقلالية حاله ولد داداه الذي أقام فترة في الرباط، وعاد إلى موريتانيا ليصبح أول رئيس لها، لكنه ظل على عهده للملك. اندلعت حرب الرمال بين المغرب والجزائر، وتدخل الرئيس المالي آنذاك مودي بوكيتا كوسيط بين الملك الحسن الثاني رحمه الله والرئيس الجزائري بنبلة، وكان الرئيس المالي يصر بعد نجاح وساطته وايقاف الحرب على ضرورة تسليمه محمد علي ورفاقه ممن كانوا ضد التقسيم الاستعماري على أساس كونه الزعيم الروحي لثورة كيدال المشتعلة آنذاك في شمال مالي، باستقلال قاداتها بفصل منطقتي تينبكتو وكيدال عن جمهورية مالي. بالفعل سلمت المغرب محمد علي، والجزائر رفاقه الإثنيين والثلاثين لمالي وتم الحكم عليه بالاعدام، حول بعد انقلاب موسى تراوري الى المؤبد، قبل ان يتم الافراج عنه خوفا من تمردات جديدة في شمال مالي. بعد الافراج عنه عاد محمد علي الى المغرب واضعا نفسه رهن إشارة الحسن الثاني "الرجال عهود" كما كان يقول، واقترح المساهمة في حل مشكل الصحراء، وارغام الجزائر على ايقاف دعمها لجبهة

البوليساريو عبر دعم حركة مطالبة باستقلال الطوارق في جنوب الجزائر، وتقديم المغرب دعم مادي للحركة الطوارقية في مالى وتكوين مجموعة من الأطر الطوارقية في المجال العسكري. اعطيت له بعض الامكانيات القليلة واستقدم مجموعة من الأطر الطوارقية التي تلقت تلك المجموعة تكوينا عسكريا ما لبث أن توقف، ليهمشوا قيل آنذاك أن الجنيرال الدليمي يعد مجموعة من الأهداف ضد الملك، من ثم تضيقهم بين المدن المغربية وتحويل ملفاتهم الى وزارة الداخلية.

ساهم الطوارق في المغرب على سحب دولة مالى لاعترافها بجبهة البوليساريو وتحسين التعاون بينها وبين المغرب. فخلال زيارة الرئيس المالى المنتخب ألفا عمر كوناري لمنزل محمد على، على هامش زيارته الرسمية للمغرب، تعهد بارسال سفير طارقي الى المغرب، هو السيد أحمداد محمد "المتزوج من اينة أخ السينمائي المغربي سهيل بن بركة، الأخير مولود بتنبيكتو، وكان واده باشا يمثل السلطان المغربي بها" والذي أصبح فيما بعد وزيرا أول وكانت له مساهمات مهمة في توطيد العلاقات المغربية المالية واعطاءها دفعة جديدة، لكن جهوده لم تلق الاستجابة المأمولة من قبل الحكومة المغربية. عاش محمد على بالمغرب وفيما لعهد ولبيعته الى أن مات سنة 1994 بتمارة في صمت.

الطوارق في الجزائر

يشغل الطوارق في الجزائر ثلاثة أرباع المساحة فولاييتي إتمنراست وايلزي

الطارقيتين تعدان أكبر ولايتين جزائريتين مساحة وأغناها ثروة اذ تمتدان على طول الحدود الجزائرية -المالية- النيجرية-الليبية، وتضم الولايتين مناطق أثرية يعود تاريخها لمئات السنين "تيسليت" وجيال الهكار، اعتبرتھا اليونسكو تراثا انسانيا وأكبر متحف في الهواء الطلق. غنى المنطقة بالثروات الباطنية وكونھا القبلة السياحية الأولى على مستوى القطر الجزائري، لم يسمح لسكانھا بالاستفادة منها، فلا زالت البنيات التحتية هشة ان لم نقل مفقودة، والمستوى المعيشي في أدنى مستوياته بالمقارنة مع بقية الولايات الجزائرية. هذه الوضعية المزرية خلفت تدمرا لدى السكان، تصاعد في شكل احتجاجات اجتماعية أخذت احيانا شكل تمرد ضد السلطات المركزية، لكن قوة والتحكم القوي للمخابرات العسكرية الجزائرية حال دونھا والظهور. اخترقت المخابرات العسكرية الجزائرية خلايا الحركة الطوارقية، وأحكمت سيطرتها على المناطق الحدودية ومارست سياسة التهجير ضد كل طارقي يتهم بتحريض السكان ضد السلطات المركزية والمحلية، فكثيرا ما أبعدت السلطات الجزائرية العشرات من الأسر الطوارقية الى مالي أو النيجر بمبرر أنهم ليسوا جزائريين، ليست هناك أية معايير أو فوارق يمكن بها التمييز بين سكان المنطقة "الطوارق" فالنقسيم الاستعماري لم يراع حتى الوحدة الأسرية. هذا بالاضافة الى سياسة اختطاف قادة الحركات "الاحتجاجية"، ونذكر على سبيل المثال رئيس جمعية طارق بن زياد بإتمنراست الذي كان يطالب بتخصيص جزء من مداخيل البترول لتنمية المنطقة ومنح الطوارق في جنوب الجزائر صلاحية الحكم المحلي وتنمية المراكز الحدودية في

اطار اتفاقيات الشراكة وسن نظام خاص بتنقل السكان الطوارق بين مالى والنيجر والجزائر وليبيا نظرا للعلاقات الأسرية المترابطة ولترابط النظام الاقتصادي المحلي. رئيس هذه الجمعية اختطف منذ سنوات كغيره من الأطر الطوارقية، ولم يعرف له مصير الى الآن. ونفس الحالة تعرض لها المحامي الطوارقي الذي كان يجري بحثا في المنطقة حول الآثار السلبية للتجربة النووية الفرنسية خلال الخمسينيات، على المنطقة والسكان حيث يؤرخ الطوارق لذلك الحدث بعام الموت كناية بعدد من توقوا نتيجة الأمراض ونفوق الثروة الحيوانية، وكان المحامي يطمح الى التوصل الى حقائق علمية ملموسة لرفع دعوى قضائية ضد فرنسا لتعويض الطوارق بدعم التنمية في المنطقة، عندما اكتشفت السلطات الجزائرية توفر المحامي المذكور على معطيات تؤكد سماح الرئيس الجزائري السابق الهواري بومدين لفرنسا خلال السبعينيات، لفرنسا باجراء تجربة نووية ثانية بنفس المنطقة، تم اختطافه ولازال مصيره مجهولا. رغم حالة الطوارئ التي ظلت الجزائر تفرضها على منطقة الطوارق، ورغم التهجير والقمع، لم تمر سنة دون أن تشهد المنطقة حركات احتجاجية. كما هو الشأن بالنسبة للانتفاضة الأخيرة بتمنراست والتي أبانت عن عجز الدولة في توفير أدنى سبل العيش الكريم لسكان المنطقة، وكذبت بالحقائق الواضحة وعود بوتفليقة خلال حملته الانتخابية الأخيرة عندما قال في خطاب له بمدينة تمنراست بأنه سيحول المنطقة الى وضع شبيه بوضع كاليفورنيا الأمريكية. ويردد الطوارق في تمنراست "نكتة" تقول بأن أحد أعيان المنطقة سأل عن مايعنيه بوتفليقة

بوعده، فعلق عليه قائلا ان ما يطلبه السكان هو أن يرحل بوتفليقة الى كاليفورنيا ويدهم وشأنهم.

يطالب الطوارق بتحسين الظروف المعيشية وتنمية المنطقة واستغلال الموارد المحلية لصالح المنطقة ورفع حالة الطوارئ عن المناطق الحدودية وتسهيل تنقل السكان الطوارق وانتخاب ممثليهم في البرلمان بدلا من تعيينهم فمنذ انشاء البرلمان الجزائري والمنطقة محرومة من انتخاب ممثليها حال بقية المناطق.

الطوارق في مالي

عهدت الحكومة المركزية ببامكو الطوارق في الشمال رافضين للانصياع لها، فلم تمر مرحلة دون تسجيل تمرد ضد السلطة المركزية منذ ثورة كيدال 1961 الى بداية التسعينيات، ولم تكن الاتفاقيات الموقعة بين الطرفين منصفة للطوارق، فأخر اتفاقية تم توقيعها ببامكو بحضور ممثلي دول المنطقة والمغرب وأمريكا وفرنسا لم تلق طريقها الى التنفيذ، مما جعل الطرف الطارقي يحتفظ بسلاحه ومقاتليه في عدد من مناطق الشمال، الأمر الذي اعتبرته الحكومة نقضا للاتفاقية وتهديدا للسلام فيما يرى الطوارق بأن احتفاظهم ببعض من قوتهم العسكرية الضامن الوحيد لارغام الحكومة على تنفيذ اتفاقية السلام.

الطوارق في النيجر

لا تختلف وضعية الطوارق في النيجر عن اخوانهم في مالي، فاتفاقيات

السلام لم تحترم، والطوارق لم يسلموا أسلحتهم للسلطة المركزية، دفعت الحكومة ببعض الوجوه الطوارقية الى مناصب وزارية لضمان استمرار حالة السلم في الشمال، هناك استقرار، لكن ذلك لم يمنع وقوع حوادث ومواجهات بين الجيش المركزي والثوار الطوارق، كان آخرها في شهر أبريل 2005 حينما تم ايداع وزير السياحة والصناعة التقليدية عيسى بولا القائد السابق لحركة تحرير أيير، السجن بتهمة الفساد المالي، فأندلعت مواجهات بين وحدات من الجيش النيجري يؤطرها مستشارين أمريكيين وثوار طوارق مواليين لعيسى بولا، احتجز على اثرها الطوارق اثنيين من المستشارين الأمريكيين واشترطوا اطلاق سراح عيسى بولا مقابل اطلاق سراح المستشارين العسكريين الأمريكيين، فأضطرت الحكومة الى الاستجابة لطلبهم. وطالبت الحكومة بعقد اتفاق بواسطة ليبية في اطار الوساطة استقبل الرئيس الليبي معمر القذافي من وفد شيوخ وفعاليات قبائل الطوارق في شمال النيجر ضم بين أعضائه محمد وعيسى وإبراهيم أبولا، حيث نقل أعضاء الوفد للزعيم الليبي في هذا اللقاء تقدير قبائل الطوارق بشمال النيجر له وللشعب الليبي على عمق التضامن معهم والدعم لهم كما جاء في كلمة ألقاها. وشكر الوفد الطوارقي معمر القذافي على وساطته بين الطوارق والسلطات النيجيرية والتي اثمرت اطلاق سراح القائد الطوارقي عيسى أبولا وتسليم جبهة تحرير ايير لأسلحتها. وطالب الوفد الزعيم الليبي ببذل المزيد من الجهد لكي يتحقق الأمن والسلام النهائي في شمال النيجر وإطلاق سراح بقية المقاتلين الطوارق المحتجزين لدى

السلطات النيجيرية واصدار العفو العام، مؤكدين بأن هذه الخطوة ستكون هي المقدمة لسلام دائم وعندما تتحقق هذه الأشياء كلها ستكون بداية لحل مشكلة الطوارق. وعبر الوفد عن قناعته بأن مشكلة الطوارق الحقيقية هي التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأنهم يدركون بأنه لا تنمية بدون أمن وأن التنمية المستدامة هي الحارس الوحيد للسلام والاستقرار في المنطقة. اشترط الطوارق لتسليم أسلحتهم منح مقاتليهم رتب عسكرية في الجيش النيجري، فشل المفاوضات بين الطرفين الطوارقي والنيجري، اقترح القذافي تشكيل وحدات متخصصة في حرب العصابات لمطاردت الجماعات الاسلامية في الصحراء الكبرى. يكون أعضاء جبهة تحرير أيير عمودها الفقري بعد متاعب الأمريكيين خلال السنتين الماضيتين مع المقاتلين الطوارق وجدوا بأن حل تجنيدهم أفضل.

الطوارق في ليبيا

استفاد الطوارق في ليبيا سواء منهم المواطنين أو النازحين لها، هروبا من عمليات القمع التي تستهدفهم في مالى والنيجر والجزائر، من التكوين في مجالات متعددة، شارك المجندون الطوارق في الحرب الليبية على تشاد. ظل طوارق ليبيا الممول الأول على المستوى المالى والمعدات العسكرية، للنشور الطوارق في مالى والنيجر خلال حرب التسعينيات، لكن تدفق هذا الدعم كان يتأثر بضغط السلطات الليبية على القادة الطوارق من أجل فرض وجهة نظرها فيما يخص ابرام اتفاقيات السلام مع الأطراف الأخرى، وهذا

مايفسر الزيارات المتتالية لحكام دولتي مالي والنيجر الى ليبيا مطالبين اياها بمحاصرة الدعم الطوارقي الليبي للنشور الطوارق. ونجح الزعيم الليبي في التأثير على القادة الطوارق وضمان ولائهم له، وساهمت الدور الليبي في توقيع اتفاقيات السلام بين الطوارق ومالي والنيجر، وتحرص ليبيا دائما على الا تنفرد الجزائر بلعب الدور الحاسم في القضية وتطوراتها. وتفطن القذافي لأهمية تنمية المنطقة فأرسل مبعوثين له الى مالي والنيجر للاجتماع مع قادة وشخصيات الحركة الطوارقية لتحديد المشاريع التنموية التي تحتاجها منطقتهم، واشترطت ليبيا لتمويل هذه المشاريع، تخلي الطوارق عن سلاحهم وعدم عقد أية اتفاقيات مع الحركات الاسلامية المسلحة، والمساعدة في الحرب على الارهاب. بعد أشهر إنتقل القذافي بنفسه الى تينبكتو لترأس إحتفال بعيد المولد وللإعلان عن برنامج لحفر قناة لإيصال نهر النيجر للمدينة التاريخية.

الطوارق والجماعات الاسلامية

لم يتعرف الطوارق قط على ما يسمى بالارهاب الاسلامي الا من خلال الجماعات الاسلامية الجزائرية خاصة الجماعة السلفية للدعوة والقتال، فحتى خلال الأحداث الدامية التي عرفتھا الجزائر خلال التسعينيات كانت منطقة الطوارق بعيدة عن العمليات الارهابية، وعن انتشار أفكار التطرف، كانت أول علاقة بين المتطرفين الاسلاميين والطوارق عندما تحولت الجماعات الاسلامية نحو المنطقة الجنوبية في الجزائر قصد ضرب أبار

البتروك في اطار حربها مع الحكومة، لكنها فشلت لعدم قدرتها على العيش في الصحراء وتحديد اهدفها في صحراء مترامية الأطراف لا سبيل الى معرفتها الى بالاستعانة بسكانها، حتى الجيش الجزائري ورغم امكانياته يستعين بمرشدين طوارق. بعد أن فشلت في هذه الخطة اتجهت الجماعات الاسلامية الى الجنوب على خط الحدود المقترحة لاستهداف القوافل السياحية، كانت الدول تتهم الطوارق بكل الهجمات التي تقع بالمنطقة سعيا من حكومات الدول الى اظهار الطوارق كمجرمين وارهابين، ولم تعترف أبدا بوجود جماعات اهابية بالمنطقة، وبالتالي تكذيب الأطروحة الجزائرية القائلة بأنها قضت تماما على الجماعات الاسلامية.

بعد عملية اختطاف 31 سائح الماني، واعلان الجماعة السلفية لدعوة والقتال عن مسؤوليتها، حينها أدرك العالم بأن العمليات التي وقعت في المنطقة من فعل الجماعات الاسلامية، و ليس الطوارق كما تريد الجزائر أن تشيع، وتشاء الصدفة أن يتم تخليص السياح الألمان على يد الطوارق -توسط قائد حركة تحرير أزواد اياذ أغ غالي بين الجماعة والسلطات الألمانية- بعد أن فشلت القوات الجزائرية والمالية في تحرير الأسرى. منطقة تودني الواقعة بين الحدود الموريتانية الجزائرية المالية، التي كان الاسلاميون يحاصرون فيها السياح الألمان، هي التي انطلقت منها الجماعة لضرب بلدة المغيضي الموريتانية، بعد سنة من حادثة السياح الألمان.

اتطالقا من واقع اليوم، وما يطرحه من تحديات على الطوارق، من أجل الاستمرار في الحفاظ على وجودهم وعلى ثقافتهم، ونحو واقع أفضل لهم

ولمنطقتهم، مع ما ستطلب ذلك من تغيير في نظرتهم للعالم من حولهم...
نلقي نظرة على الجذور التاريخية للطوارق وعلى ثوراتهم الحديثة
ونتساءل عن طبيعة حركتهم لفهم ما يجري...

إيموشاغ: IMOUCAGH

الجذور التاريخية؛

هناك تباين بين المؤرخين قديمهم وحديثهم حول أصول قبائل الأمازيغ عامة، والطوارق خاصة القبائل التي استوطنت منذ عهد قديم الصحراء الفاصلة بين الشمال الأفريقي والسودان القديمة، ولا ينفصل البحث عن أصول الأمازيغيين عن أصول الإنسان عامة والبحث المتعلق بأصل الإنسان لاتزال وستبقى جارية، لأن أمرها يتعلق باكتشاف المعرفة عن آلاف السنين منذ ظهور الحياة على الأرض، يرجع معظم المؤرخين العرب جذور قبائل الطوارق يعود إلى هجرات قديمة من المشرق، ويأخذ، حيث يقول المؤرخ ابن عبد الحكم: إنهم من فلسطين، وأنهم هربوا بعد مقتل ملكهم جالوت بيد النبي داود وهاجروا إلى ليبيا، ويتحدث الشريف الإدريسي صاحب «المسالك والممالك» عن هجرة قبائل الهوارة والزناطة والدرايسة والمخيلة وانتشارها بين طرابلس والدواخل الصحراوي، أما الباحث الجزائري ابن بيلال: فيقول بـ"أن كتب التاريخ القديمة مثل بطليموس، ويهرودوت، أكدوا بأن الطوارق، هاجرت قديمة من الشرق وقد عرفوا في هذه الكتابات باسم

الليبيين أو الليبو وهو الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على جيرانهم من سكان شمال أفريقيا، ذلك أن القبيلة التي كانت تجاورهم حينذاك تعرف بالليبو، وهم سكان المنطقة الشرقية من ليبيا الحديثة، كما كانوا يعرفون عند الوندال Wandals بالنوميديين وعند الرومان واليونان بالبربر les Barbares وهي تسمية يطلقونها على كل من سواهم وتعني «الهمج». ويذهب الباحث والرحالة جيمس ويلار في كتابه «الصحراء» الى أن الطوارق من الغرامنيين» "ويجدر بنا القاء نظرة على العشيرة الخاصة التي حكمت الصحراء، منذ أيام القراطنيين على وجه الاحتمال، أعني عشيرة الطوارق أو «الرجال المثلثين» ومن المحتمل أن يكون أبناء هذه العشيرة هم الأحفاد المباشرين لأولئك الغرامنيين الذين سادوا الصحراء الكبرى في أيام اليونان والرومان"، وهو الرأي الذي نقله الكاتب جان كلود كلوتشكوف يرى بعض المؤلفين أن الطوارق ربما كانوا قد انحدروا من سلالة «الغارامانت» وهم شعب غامض الأصول كان المؤرخ اليوناني هيرودوتس قد تحدث عنه، وذكر أنه كان يعيش في فزان في القرن الخامس الميلادي وليس هناك من يذهب الى أنهم من البربر. ويذهب فريق آخر الى أن أهل الطوارق من البربر وأهل البربر من جنس الكروماجنون الذي ظهر في الشمال الإفريقي وهي قبائل كانت من أجناس ما قبل التاريخ، ويذهب أحد لآراء الى أن الفراعنة أنفسهم من البربر ويساق هذا الرأي كتفسير للطفرة الحضارية التي حدثت في وادي النيل وكيف كانت بتأثير هجرات من الكروماجنون والبربر. وأما العلامة ابن خلدون فينسب قبائل الطوارق الى قبيلة صنهاجة على نطق العرب أما أصله

فهو في الأمازيغية IZHNAGEN ولا يزال موطن بناحية وارزازات بالمغرب يحمل اسم TAZNAGHT وربما يكون هذا الاسم مستقاة بالامازيغية من اللون الأسمر فتعني صنهاجة: السمر يقول ابن خلدون «هذه الطبقة من صنهاجة، هم المثلثون المواطنون بالقصر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ ظهور قبائل الفتح، لا يعرف أولها فأصحروا عن الأرياف، ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا عنها بالأنعام ولحومها، إنتبأذا عن العمران واستثناسا بالإنفراد وتوحشا بالعز عند الغلبة والقهر، فنزلوا من الريف جوار وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا وأخذوا اللثام خطاطا تميزوا بشعاره بين الامم». ووافقه في ذلك الباحث الجزائري مدني عامر. «الطوارق هم أولئك الذين وقع بشأنهم إجماع معظم مؤرخي الشمال الافريقي بأنهم منحدرين من سلالة الجندر الأمازيغي الذي سكن أسلافه منذ أحقاب طوال الوطن الممتد من صحراء ليبيا الى المحيط الاطلس ومن البحر الابيض المتوسط الى حوض السنغال والنيجر فتاريخهم عريق جدا في غضون السلالات البشرية وكان من أهم القبائل والبطون المنحدرة من الجندر الصنهاجي قبيلة «لمتونة» في الشمال و«جدالة» في الجنوب بالقرب من نهر السنغال ومسوفة في الوسط، وهؤلاء هم المثلثون ومنهم ملوك دولة المرابطين بالمغرب الاسلامي والاندلسي 1062 م - 1146 م». ويعضد الرحالة ابن بطوطة هذا القول في مذكرات رحلته المشهورة حين تحدث عن وصوله الى مدينة تنبكتو"تينبكتو وليس تمبكتو

كما هو شائع "والهكار"... ثم سافرنا منها الى مدينة تنبكتو وبينها وبين النيل أربعة اميال أو أكثر سكانها مسوفة أهل اللثام وحاكمها يسمى قريبا موسى، وحضرت عنده يوما وقد قدم أحد مسوفة أميرا على جماعة فجعل عليه ثوبا وعمامة وسروالا كلها مصبوغة» وعند حديثه عن سكان الهكار قال: «ووصلنا الى بلاد الهكار وهو طائفة من البربر ملثمون»، الطوارق قبائل متعددة تملأ الصحارى الشاسعة في الجزائر وليبيا ومالي والنيجر، أغلبهم من صنهاجة وهم تجمع قبلي كان يضم جدالة ولمطة وملتونة وتارقة ومسوفة، وهم من أصول دولة المرابطين، وينسب بعض المؤرخين صنهاجة الى حمير ويدللون على ذلك بعدة أدلة ويشذ عنهم ابن خلدون وابن حزم الاندلسي. وعموما ينتمي أغلبية قبائل الطوارق الى قبائل صنهاجة، على أن ذلك لا يمنع إستيعابهم لأسر عربية جاءت بعد الفتح الاسلامي لشمال افريقيا، وقد لاحظ الباحث الفرنسي بوفيل هذا الاستيعاب حيث يقول في كتابه «تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير»: «إستطاع الطوارق الذين كانوا محتمين بالجبال في «أيير» والهكار ويعيشون بعيدا عن الطرق التجارية الرئيسية أن يحتفظوا بلغتهم وعاداتهم وامتصوا بعض القبائل العربية» والى ذلك يشير حمد الغربي حيث يقول: «قدم من الشرق أشراف ينتسبون لنفس الاسرة الادريسية التي حكمت المغرب (عام 788م) ولم يفكروا أولئك الاشراف في أمر دعوة أو إصلاح فقط بل سعوا أكثر من ذلك الى تأسيس ممالك في السودان.

مصدر التسمية:

تسمية الطوارق بالطوارق محل خلاف بين المؤرخين، فمن قائل بأنهم

سموا بهذا الاسم لأنهم طرّقوا الصحراء وتوغّلوا فيها، والبعض يرجع ذلك لانتساب البعض منهم الى طارق ابن زياد أو الى جيشه، الا أن الباحث مدني عامر يرجع أصل التسمية الى تأويل «كلمة ترك» فيقول: بأنهم سمو التوارك لأنهم تركوا الوثنية الى الاسلام، وذلك عند أول عهدهم بالاسلام، وهو الاسم الذي حرفه تراجمة المشرق فقالوا «طوارق» لكن القول الأرجح ان التوارك نسبة الى اسم المنطقة التي تسكن بالقرب منها قبائل المثلثين القريبة من العواصم المغربية في الشمال وهو وادي ورغة جنوب مراكش «تاركا TARGA» وجمعها توارك. وتاركا TARGA أو TARJA معروفة تقريبا عند جميع الأمازيغيين وتعني الأرض المسقية الخصبة، وهناك أدب شفوي كثير وأغاني حولها لاتعد ولا تحصى، وهو اسم يرتبط بالماء والخصب، وربما جاء منه اسم WARGHA الواد المعروف بالمغرب وتنتمي الكلمة من الناحية اللغوي الى عائلة IRGEN، IRG، وهو غلاف ثمرة الاركان أو اللوز، ARGAN الشجرة المعروفة، TRGA مارس... ITTERG انظرك تقال للعملية الحسية بين الحيوانات. لكن الغريب في الأمر أن الطوارق لا يعرفون هذا الاسم ولا يطلقونه على قبائلهم بل إنهم «كل تماشق» أو «كل تماهق» أو «كل تماجقت» وتعني أهل تماشق و«كل» هي أهل وتماشق في اللغة الطارقية اي الناطقين بالامازيغية، وتنطق في كل منطقة بشكل مغير، فزي ليبيا «تماهق» بإبدال الشين هاء، وفي مالي عكس ذلك على أن طوارق النيجر يبدلونها جيما ومنها كلمة إموشاغ (إموهاغ، إموجاغ) وهو الاسم الذي يطلقه الطوارق على نبلاء القوم أي الرجال الاحرار ويرادفه في الشمال

الافريقي كلمة «أمازيغ». يصف الرحالة الاوربي انتونيو فالفونين، الطوارق بأنهم جنس راق وفرسان على درجة عالية من النبل والشجاعة، عند الحديث عن الأصول يستحضر علماء الاجناس البشرية، جملة من الخصائص الجسمانية والفكرية والتفسيرية في محاولة لتحديد هوية هذا الكائن بالمفهوم المعاصر وتحديد المواقع التي يستوطنها والتي اتخذها لنفسه منذ ذلك الزمان مستقرا، وباعتماد على جملة من هذه الخصائص يجمع العلماء على أن الطوارق هم السكان الاصليين لمنطقة أزواد AZWAD، مستدلين في ذلك أيضا بالمادة التاريخية المستجمعة والمستوحاة من بيئة وعالم أزواد حيث يبرز الاستمرار والتواصل في بعض جوانب الحياة اليومية بشكل مدهش في الطقوس في العادات والتقاليد الموغلة في القدم في لغتهم «التماشق TAMACIQ» التي استخدمها الانسان الاول ووظف حروفها في استعمالات مختلفة بطريقته الخاصة للدلالة على عناصر هويته، ويتجلى ذلك اليوم أيضا فيما عثر عليه من بقايا واثار تحمل رسومات استخدمت فيها الحروف كأساس فني ورمزي إيحائي، حيث نجدها مرة في موقع الذراع وأخرى مكان القدم وحتى في الدروع وفي اشكال اسلحتهم لتأكيد ان تلك اللغة كانت النوعاء الأكبر الذي فيه بلور الشخص من الطوارق، وبه صاغ مختلف أوجه حضارته ومجده التليد.

أهل اللثام kel Tagglmoust :

اشتهر الطوارق بلثامهم الذي عرفوا به بين الامم فهم المثلثون، وتساءل الكثير من ا لكتاب عن سبب هذا اللثام، ولم الرجل دون المرأة؟ واختلفت

التفسيرات، لكن يبقى الطوارق ولثامهم دون تفسير مقنع للبعض!!
فالنظرية القائلة بأن اللثام يلبس كوقاية من العواصف الرملية لا تفسر لنا لماذا لا تلبسه المرأة، وكذا التي تقول أن الرجل يلبس اللثام ليتخفى عن عدوه لأن الرجال يتعارفون على بعضهم بالرغم من اللثام. وضع اللثام على الرأس والوجه ليس القصد منه التخفي والتنكر بقدر ما هو ضرورة وتقليد اجتماعي راسخ توارثته الاجيال منذ الاف السنين وهو رمز الرجولة والانفة والشجاعة عند الطوارق. ولا يكشف لك الطارقي عن وجهه قبل ان يطمئن اليك او عندما يدعوك لدخوله بيته على ألا يكون ذلك أبدا في حضره الاجنبيات عنه. يقول ابن عذاري في كتابه «البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب».. «هم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ولذلك سموهم بالملثمين، وذلك عادتهم يتوارثونها خلفا عن سلف، ويقول آخر: «اغلب الظن أنه نوع قديم من التحريم الوثني الذي كان يعتبر فم الرجل عورة لانه مدخل الهواء والماء والطعام ومخرج التنفس أو هو باب الروح الذي يمكن ان يدخل منه الجن والارواح الطيبة والشريرة ولهذا وجب أن يحجبه الرجل فلا يكشفه أبدا، والمرأة تقول في امتداح زوجها أنها عاشت معه عشرين سنة دون أن ترى فمه». يعتبر كشف الوجه امام المرأة الاجنبية من سوء الادب، ولا يمشی بدون لثام غير الاطفال حتى يدركوا سن البلوغ، فيقام الاحتفال خصيصا لذلك، ومن تلك اللحظة يسمح للشباب حضور مجلس رجال القبيلة، وينظر له على أنه اصبح رجلا، فاللثام علامة على كمال الرجولة، وحتى أثناء الاكل على الرجل ألا يكشف عن فمه وأن يأكل من تحت اللثام، وكشف الوجه أثناء الاكل

يدل على وضاعة التربية وسوء المنبت.

اللغة الطوارقية «تماشق»:

يتكلم الطوارق بلغة من أصل أمازيغي ويقال: أنها مشتقة من اللغات السامية القديمة، وفي رأي ثالث أنها نتاج محلي، وأن لها أصالتها الخاصة، فهي وسيلة التعبير الأولية التي إبتكرتها الاجناس البدائية التي سكنت الشمال الافريقي منذ ألوف السنين». ولغة الكتابة واسمها تيفيناغ TIFINAGH، مؤلفة منذ 24 حرفا، وهي اشبه بالعلامات الهندسية «دوائر ومربعات ونقط وشرط ومثلثات» وهي تنقش على الحجارة والجلود والخشب، وتستعمل في مناسبات قليلة لتسجيل الملكية أو عقود الزواج، وتكتب من اليمين الى اليسار، أو من فوق الى تحت، ويتخاطب العشاق بإشارات من أصابعهم دون نطقه، كطريقة سرية للتفاهم على المواعيد، من الكتاب الذين ذهبوا الى جعل اللغة البربرية من أصل سامي. المستشرق الالماني روسرويني ذلك على وجود الحروف الحلقية، والعبارات الجزلة، وهذه أحد سمات اللغات السامية التي تعتبر العربية فرعا منها، أما غوستاف لوبان فيردها الى الفينيقية «إن لغة البربر العريقة في القدم يحتمل أن تكون مشتقة من الفنيقية» ولعل مرد ذلك الى أن الأبجدية التي يكتب بها الطوارق «تيفيناغ» مشتقة أو مستعارة كما يذهب الي ذلك الباحث الجزائري عثمان السعدي عن الأبجدية الفينيقية. ويخالفه الحجي أمي وهو باحث طارقي هذا القول فقد نقل عنه الاستاذ محمد سعيد القشاط قوله "الشعب الطارقي شعب مسلم من أصل سام احتفظ بهويته الحضارية الأصيلة، والتماشق لغته

الوطنية وحروف هذه اللغة تسمى «التيفيناغ» تجعله أحد الشعوب الافريقية النادرة التي تملك أبجدية نظيفة يرجع وجودها الى ثلاث آلاف سنة قبل ميلاد السيد المسيح تقريبا، كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وإفريقيا الشمالية"، وإلى ذلك يذهب الكاتب جان كلود في كتابه «النيجر اليوم» أما الطوارق "فهم يتكلمون لغة بربرية اسمها «تاماشيك» تعتمد على قبائل الطوارق جميعا، أنها إحدى اللغات الافريقية النادرة التي تمتاز بأن لها كتابة خاصة بها، وهي تيفيناغ التي عثر على آثار عديدة مكتوبة بها بين النقوش الجدارية وتتألف أبجدية الطوارق من دوائر وخطوط ونقاط ومربعات ومثلثات، حيث لا تكتب إلا الحروف الصامت «باستثناء حروف العلة التي يشار إليها بنقطة في أواخر الكلام، وهي تكتب عموديا أو أفقيا من اليمين إلى اليسار أو العكس، ونشأت عن الكتابة الليبية القديمة».

الطوارق وتحريف التاريخ:

يتمتع الطوارق بغيرهم من شعوب الأرض برصيد ثقافي وتاريخ ضارب في أعماق التاريخ، فقد اشتهروا بالكثير من المميزات والخصوصيات التي جعلت منهم دوما مصدر الهام لخيال الكثير من المكتشفين والرحالة، فأسطورة الرجال الزرق العاشقين لحروب الشرف والفضيلة، الحريصين على الاحتفاظ بهويتهم والمنسجمين مع البيئة المحيطة بهم مازالت إلى اليوم تغازل خيال كتاب قصص الأدب والنبيل والشجاعة والأساطير. يصطدم الكثير بقلة الكتابات التي تؤرخ لتاريخ هذا الشعب، ورغم غناء

التاريخ الطوارقي بالاحداث على مر العصور لم تكن هناك أية محاولات لتأريخ، لا على يد اصحابه ولا يد غيرهم ممن اهتموا به، ما فصح المجال لكثير من المحتالين والمنظرين للسياسات المغرضة لكتابة تاريخ هذا الشعب كما تريده الانظمة القائمة مما جعلهم يقعون ضحية ولاءهم لتلك الانظمة، فجانبوا المنهج العلمي الصحيح لكتابة تاريخ الأمم واستغلوا غياب أية دراسات موثقة ومطبوعة ولم يلتفتوا لما كتبه الطوارق عن أنفسهم من ما هو مخطوط ومحفوظ، وقد اعتمدوا في دراساتهم تلك على مقارنات علموا سلفا أنهم ستؤدي بهم الى النتيجة التي يتطلّبونها وتطالبها أنظمتهم من قبيل مقارنة عادات الطوارق بعادات عرب الجزيرة العربية، وفي هذا المجال نذكر على سبيل المثال لا الحصر محمد سعيد القشاط «الطوارق عرب الصحراء الكبرى» ومواطنه علي فهمي خشيم وبعض الكتاب الشرقيين ومن تأثر بهم من إخواننا، أصدر القشاط الكاتب والسفير الليبي كتابه بعد سنوات من العيش في الصحراء بجانب «الطوارق» وبتكليف من السلطات الليبية إبان ثورة الفاتح، والدعوة الى القومية الوحيدة، الموحدة للعرب بما فيهم شمال إفريقيا ولم لا قبائل الهوسا الإفريقية. الهم الأوحد للظام الليبي آنذاك لم ينس القشاط أن لشعب الطوارق تاريخ محفوظ في ذاكرة المجتمع وفي بعض المخطوطات المدونة باليد، والتي تحايل عليها، لكنه نسي بأن التاريخ الإنساني له عدة مصادر فلم يستطع التنبه الي كونه لن يستطيع التحايل على النقوش التي تحتضنها جبال المنطقة والتي اعتبرتها منظمة اليونسكو أكبر متحف في الفضاء الطلق.

«تكزيرت»:

مكتبة طوارقية مكتوبة بحروف تيفيناغ العتيقة في منطقة اكاذن، تدون أيام وتاريخ المنطقة وعاداتها وتقاليدها وسلاطينها وإسماء قبائلهم منذ غابر الزمان، وقد حافظ الطوارق على سرية مكان وجود هذه التحفة خوفا من أن تتعرض للنهب من قبل الغزاة، ومن الغريب أن الكثير من السياح الذي يرتادون المنطقة، والذي زاروها مرات، لم يستطيعوا تحديد مكان مكتبة «تكزيرت» وذلك لصعوبة الايتدلال على مكانها والطرق المؤدية لها فحتى اصحاب المنطقة لايمكنهم تحديد مكان وجودها الا بالاستعانة بالعلامات المكتوبة بحروف تيفيناغ، الا أن المثير للخوف هو أن حتى تلك الحروف التي كتبت بها هذه الوثائق على الحجارة وبعض الجلود اصبحت الان صعبة القراءة نظرا للتطور الحاصل في كتابة حروف تيفيناغ العريقة، قليل من الشيوخ الطوارق يستطيعون تحديد مدلولاتها بدقة، وللأسف فهؤلاء الشيوخ هم الان يعيشون في وضعية تهدد حياتهم وبالتالي فإن هذا الكنز الثقافي مهدد أيضا، فمنذ شهر تناقلت الاخبار وفاة احد هؤلاء الشيوخ الذين كانوا ولازالو مرجعا حقيقيا لتاريخ المنطقة.

موطن الطوارق:

لاشيء يثير في الصحراء مثل هؤلاء الفرسان المثلثين، يركبون المهاري ويسيرون في قوافل مهيبة لا يظهر من الواحد الا عيناه تبرقان في شوء الشمس، أما الوجه والرأس فيخفيهما لثام أبيض وأحيانا ملون، والجسم يلتف في عباءة فضفاضة بيضاء أو ملونة، وإذا صادفت أحدهم يمشي في

الصحراء خيل اليك أنه أمير أو ملك يمشي في قصره، فهو دائما يسير رافع الرأس في إعتداد وخطوات ثابتة واثقة كأنه قيصر يتفقد مملكته فالطارقي دائما أنيق ورشيق ومعطر. إن «اسياد الصحراء» الاسطوريين وهم الطوارق أو «كل تاماجاك TAMAJAK يحتلون القسم الشمالي من النيجر ومالي وجنوب الجزائر والجنوب الغربي من ليبيا وهم يشكلون في هذه المناطق الأكثرية، ويعود إجتياحهم لهذه المناطق الى العام 500 قبل المسيح حيث بدأ الجفاف يتزايد في الصحراء، ويولد هجرات المزارعين والصيادين الذين راحوا يبحثون في الجنوب على أراض أكثر خصبا من اراضيهم، ثم ما لبث الرعاة أن حذوا حذوهم فتبعوهم مع قطعانهم بحثا عن الكأ والعشب، وبعد أن هجرت الصحراء أصبحت معقلا للبدو «الطوارق» وقبائلهم الكبيرة، يقول غوستاف لوبون "ففي الغرب كان المغاربة في الصحراء الاطلسية، وفي الوسط في الهضبة الصحراوية الوسطى أي «تاسلي tassili» و «الهكار ahuggar» و«الأبير ayr» كان الطوارق على أن الاقوام البدو الأولى كانت في أصل بربري وأتت من افريقيا الشمالية» ونضيف الى رأي غوستاف لوبون ان أمازيغ الصحراء توجد فرق منهم بكل مناطق شمال إفريقيا وهم جزء من شعوب تامازغا فأكثرية أسماء الاماكن الموجودة في الصحراء يوجد ما يقابلها في كل شمال افريقيا مثلا tassili التي هي بالامازيغية القاعة lepond فيقول أيت باعمران مثلا tasila n. wanu اي قاع البئر، tasila n. uduku la semette ler babouche كما أن مكانا قرب مدينة اكلميم يسمى tayrt وهو مؤنث ويعني تقريبا الهضبة البركانية أو الكتبان

الرملية. ذهب أغلب المؤرخين الى تقسيم البربر الى أهل بدو، وأهل حضر، ومنهم غوستاف لوبون «يقسم العرق البربري من الناحية السياسية الى عدة فروع لعرق واحد، وهذه الفروع القبائل في الجزائر، والطوارق في الصحراء، والشلوح في مراكش» "وحيث يسكن الصحراء الكبرى من عرب أو بربر أو من اية امة اخرى لا يكون الا بدويا، ومن ذلك أنك تبصر الطوارق الذين هم بربر خلص من النوميديين عريقين في البداوة". وفي نفس الإطار يذهب العلامة ابن خلدون «هذا الجيل من الأدميين هم سكان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص الشجر، ومن الشعر والوبر، ويطعن أهل العز منهم والغلبة لإنتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفار الملس، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيول في الغالب للركوب ...» يقطن الطوارق حاليا المناطق الممتدة من الحدود الموريتانية الى حدود تشاد، ومن جنوب نهر النيجر الى شمال مدينة غرداية الجزائرية وتسكن فرق منهم بالمغرب وتونس أي أن موطنهم الآن يتكون من الواحات والوديان التي تشمل جبال تاسيلي والهكار وأيبر وأطغاف (أدرار) وهو ما يطلق عليه أزواد أو «أزواغ»، وكان هؤلاء المحاربين في المقام الاول راس الحرية لكل حملة عسكرية تعبر الصحراء من الجنوب الى الشمال كالحملة المرابطية أو من الشمال الى الجنوب كحملة السلطان أحمد الذهبي السعدي، وظلوا لعقود من الزمن حماة لمعابر القوافل التجارية بين الشمال الافريقي وجنوبه، مما أكسب منطقتهم موقعا استراتيجيا مهما وازدهارا اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا

استمر الى نهاية القرن الثامن عشر، حيث نمت مراكز تجارية كانت في السابق محطات لراحة القوافل أو أسواقا موسمية كمدن «تيندوف tinduf» و «أروان تودني tawdenni» و «تمنراست tamenrast تمنغست» وتنبكتو التي أصبحت فيما بعد مركزا حضاريا وثقافيا مهما في الغرب الافريقي، حيث خُرجت مدارسها عدد كبير من رجالات العلم والادب والدين الاسلام مثل الفقيه أحمد بابا التمبكتي، وأضحت مكتباتها بغية لطلاب العلم من جل أصقاع المعمور، واكتسبت مكانة تجارية هامة في الغرب الافريقي. ومن أهم طرق القوافل في ذلك العهد تنبكتو -غات-اغدامس، وقد قدر أحد الباحثين عدد الابل التي تسلك هذا الطريق في العام بنحو ثلاثين ألفا تحمل العاج وريش النعان، وتراب الذهب، والشاي، والعطور التونسية، والثياب المطرزة، ومناديل الحرير، وقد عرف الكثير من التجار السبيل الى الثراء عن طريق تلك القوافل حيث كتب أحدهم يقول «قطعت ذلك الطريق سبع مرات كنت أولها خادما وفي آخر مرة كان عندي سبعة من الخدم».

الطبقات الاجتماعية:

يتكون الطوارق من مجموعة قبائل على رأسها أمير يسمى «الأمينو كال amenukal» وهو الحاكم العام لجميع القبائل، ويصل الى الحكم وراثة عن أبيه كالنظام الملكي، ويوجد على رأس كل قبيلة شيخ، ويسمى السلطان أو «أكليد agellid» ويفرض سلطانه على أتباعه المتواجدين في الرقعة الجغرافية التي يحكمها، ويحمي مصالح قبيلته المتمثلة في المراعي والطرق التجارية ويفرض احترام الأحكام وتطبيقها، ويستنفر رجاله للقتال

ويعددهم له، ويمثل القبيلة لدى «الأمينوكال» ورمز الامارة هو طبل كبير يسمى «تيندي» يعلقه في وسط منتجع «أكليد» أو على باب خيمته، يقرع هذا الطبل عند قدوم الضيوف او الحفلات، أو الاجتماع لاعلان الحرب، أو لامر مهم، آخر، ولكل سبب عدد معين من الضربات، حيث يكون القادم الى مكان الاجتماع على علم مسبقا بدواعيه. مهمة الأمينوكال الاشراف على الحرب وادارة خططها، وفض الخلافات بين القبائل، وله خليفة عنه في غيابه. وبلي الامنوكال في السلم الاجتماعي شيوخ القبائل ثم الفرسان «أموجاع - imu-jagh» ورجال الدين، ثم الرعاة ثم الحرفيون، وفي أسفل السلم الاجتماعي نجد الخدم والجواري.

الفرسان:

لاعمل لهم الا الحرب وحراسة القوافل والسطو على الأعداء، وهم يحتقرون الحرفيين ويعتبرون العمل اليدوي وضعيا، وتستطيع أن تعرف الفارس من مشيته، فهو يختال في خطواته وكلماته، ويتأنق في ملبسه وأحيانا يلبس لثاما أحمر زيادة في الاناقة. «انسلمن ineslmen» المرابطين، «شريفن» رجال الدين: لهم مكانة محترمة داخل قبيلة الطوارقية، ويعتبرون في مستوى الفارس بالنسبة للمكانة الطبقية، ومهمتهم تنحصر في تدريس القرآن والشريعة الاسلامية لاطفال القبيلة، والإفتاء في الامور الدينية وإمامة المصلين وعقد الزواج في جتنبه الديني.

العبيد والجواري:

وهم أناس كان يقع استعبادهم بواسطة الاسر في الحروب، وبواسطة

تجارة الرقيق التي ترجع الى العصور القديمة، ولكنها لم تعد موجودة بعد الغاء الرق من طرف المجتمع الدولي والاتفاقيات الدولية واعلانات حقوق الانسان، «إكلان iklan»؛ مصدر الكلمة هو اللون فالخدم كلهم سود البشرة و «تَكُولت» عند الطوارق هي السواد ومنها «إكلان»، وتستعمل نفس الكلمة بجنوب المغرب للتعبير عن اللون "uklan ikelliwen".

الحرفيون؛

هم صناع يدويون كانت الارستقراطية القديمة لدى الطوارق تحتقرهم، وذلك قبل ظهور الطبقة العاملة المعاصرة، وهم أذكاء وحكماء، ومنهم من يتقن الكتابة ورواية الاقاصيص والحكايات المسلية، وبعضهم يرقى الى درجة مستشار الامير، وهم في بعض المعتقد من أصل يهودي «إنهضن inhaden» وإذا صح ان اصولهم يهودية فإن بعض الاسر اليهودية القديمة قد التحقت بالصحارى الافريقية ونقلت لها بعض الصناعات اليدوية التي كان يمارسها البدو في كل شمال افريقيا.؛ إنهضن هم الحرفيون والكلمة تتكون من جزئين in«إن» أي صاحب «هضان» وهي الليالي، وسموا بذلك لانهم يقسمون الليالي بين المنتجات. وكانت هذه الطبقات شديدة التمايز فلم يكن هناك تزاوج ومصاهرة بين طبقة وأخرى، لكن ازدياد الصلة بالمجتمعات الحديثة أضعف من ذلك.

العائلة؛

تتألف من رب الخيمة وزوجته وأولاده وإذا كان من الاغنياء يضيف الى اسرته العبيد ونظرا لكون المجتمع الأمازيغي بالاصل مجتمعا أموميا فإن

المرأة الطوارقية تلعب دورا متميزا في الحياة الاجتماعية والسياسية، فهي تتمتع بحريتها وتستطيع اختيار زوجها، فإذا طلقت عادت حرة من أي التزام، ولما كانت نساء «الخدم» هن اللواتي يقمن بكل الاعمال بما فيها اعمال الطبخ، فإن المرأة الطوارقية تنصرف الى الراحة والاطلاع فهي تملك أصول اللغة القديمة والكتابة «التيفيناغية» بالإضافة الى دورها الاساسي على مستوى الاسرة، فإن لها دور في المحيط الاجتماعي فهي صاحبة القرار النهائي في ما يطرح عادة من مشاريع عائلية، أو بما تنجزه من منسوجات وحلي تبدع فيها أيما إبداع.

العادات والتقاليد:

لا يختلف الطوارق كثيرا في عاداتهم عن سكان الشمال الافريقي الذين يتشابهون في عاداتهم وتقاليدهم، وهذا لا يمنع من وجود بعض الفروق الطفيفة. يعتبر مجتمع الطوارق من المجتمعات المفتوحة في الاسلام الى حد بعيد من العقد والتعقيد. فالشباب والشابات يلتقون في الأفراح وغيرها دون أن تغطي المرأة الطوارقية وجهها بل على العكس، فالرجل الطوارقي في مثل هذه اللقاءات هو الذي يغطي وجهه ويحرص على تضيق لثامه حتى لا يظهر منها غير العينين في اللقاءات التي تتواجد فيها المرأة، وتقول الرواية الاسطورية أن سبب ذلك ان الطوارق هاجمهم العدو ذات مرة وانهزم الرجال ولكن النساء لبسن العمام وملا بس الرجال وضيقن اللثام وامتطين ظهور المهاري وطاردن العدو الذي هاله كثرتهم فترك لهن الاموال وفر هاربا. لذا النساء يكشفن عن وجوههن اعتزازا بالنصر الذي حققنه.

يلتقي الطوارق شبابا وشابات خارج الخيمة في عراء الصحراء حيث يوقدون النار ويتسمعون الى الغناء والعزف على آلة الطرب «الامزاد» ولايتحرجون أن يجلس كل شاب الى عشيقته يحادثها ويسمر معها في عفة دونما شيء يجرح الطهر أو الحياء ويسمون ذلك (تاغيلت). ويقوم كل من الشاب أو الشابة باختبار احدهما للآخر على مدى صبره وتحمله وعلى الشجاعة. وعندما يتأكد الشاب من حب صاحبتة له ويتفقان على الزواج تعقد المراسيم.

الزواج:

يرحل الشاب مع مجموعة من اصدقائه وأقربائه الرجال وينزلون بالقرب من خيمة والد العروس، ويرسل الشاب شخصين أو ثلاثة الى والد العروس ووالدتها ويخطبون له ابنتهما، وعندما تتم الموافقة يعينان المهر المطلوب، وإذا ما وافق عليه الشاب، يفوض احد الاشخاص يكون عادة من أقاربه ابن عمه أو أخاه أو ابن خاله، يعينه بشهادة من حضر وكيلا له لعقد الزواج من مخطوبته، حيث يقدم ذلك الوكيل المهر، الذي يتكون من عدد من الإبل فوق سبعة، ولابد من «تاغتست» لام العروس وهي الهدية. وطريقة تقديمها أن تجتمع النسوة في المخيم لتهنئة أم العروس بخطبة ابنتها، ويتحلقن حول «تيندي» الطبل يعزفن عليها تعبيرا عن الفرح ويطالبن بهديتهن وهنا يتقدم أصدقاء العريس على جمالهم يحملون الهدية وعندما يصلون الى النسوة يقومون بنحر ثور ثم يتركونه للنساء في الحفل. ويستمر هذا الحفل ثلاثة أيام يكون فيها العريس وأصحابه في ضيافة أصهاره وبعدها يذهب لإحضار

«تيوسي» وتعني بالامازيغية «الحمولة أو الضريبة» من فعل yusi بمعنى حمل وهي عبارة عن: - كمية من الشاي الأخضر والسكر - كمية من العطور (اضوتن) adhuten وهي كلمة مشتقة من اسم adhu - كمية من التبغ وعدة هدايا. يستمر الحفل من جديد ويجتمع أهل الحي لأخذ نصيبهم من الهدية حيث تقوم أم العروس بتوزيعها على كل أهل الحي بالتساوي لتستمر الإحتفالات لمدة ثلاثة أيام بلياليها، وأثناء الحفل يحدد العريس الموعد الذي يناسبه لأخذ عروسه، ويعود مع رفاقه الى ساحة الحي ويعزفون على الطبل «تيندي» ويغنون بقصائد تمجد المناسبة، وتنظم سباقات المهاري. وفي المساء تكون ليلة العرس، فيجهز جمل لركوب العروس تقوده النسوة بعيدا عن الخيام، تركب العروس وخادمتها ويتجهن نحو خيام العريس التي تكون في العادة ليست بالبعيدة. يركب الرجال جمالهم ويلحقون بالجمال الذي تركبه العروس لمرافقتها وتستقبلهم أم العريس بقرع الطبل «تيندي» ويكون منتجع العريس قد نصب خيمة العروس بعيدا عن مجمع الخيام، منحرفة قليلا الى الشرق، تجلب العروسة معها الى مخيم زوجها الهدايا. وتقوم بتوزيعها وتأخذ أم العريس النصيب الأكبر من الهدايا، وبعد تجهيز خيمة أم العروس بما احضرته معها من حيها، وتكون العروس في خيمة العريس طوال مدة تجهيز الخيمة. يدخل العريس ورفاقه الى الخيمة وترافق نساء الحي العروس الى الخيمة، ويبقيين خارج الخيمة ويذهب وكيل العريس لملاقاتهن ليفاوض وكيلة العروس وعادة تكون إحدى قريباتها، وتطلب النسوة مقدارا من الملابس والروائح مقابل تسليم العروس لوكيل العريس، ويحاول

وكيل العريس مفاوضتهن لتقليص من مضالهن، ويستمر التفاوض أحيانا طوال الليل الى أن يوافق الوكيل على تقديم ما يطلبه فيسلمن له العروس ويسلمن لهن الهديا، تتقدم رفيقات العروس بها نحو الخيمة حيث يدخلنها على العريس الجالس.

الحياة الاقتصادية:

يشغل الطوارق بتربية المواشي من إبل وماعز وأنواع الضأن تخصص المنطقة تدعى «تيهلي» tihli ليست لها أصواف ولها ذيل طويل وأجسامها مغطاة بشعر قصير كشعر البقر. كما يربي طوارق الجنوب المتواجدون في منطقة السافانا، حيث المياه وفيرة، البقر. ويتخذ الطوارق من ألبان الابل والبقر طعامهم الرئيسي وكذلك من لحومها كما تدهن نساء الطوارق شعورهن وأجسامهن بالسمن. ويرتحل الطوارق نحو المناطق الممطرة المعشبة لرعي مواشيهم، في الخريف ينتقلون نحو المياه المالحة لسقي الابل التي تحتاج للملح في فترة من السنة، والا نفقت، ويحتقر الطوارق الزراعة ولا يحسنونها اصلا ويعتبرونها من علم الطبقات السفلى، ويحترفون الصيد خاصة صيد الغزلان والوعول والنعام، والتمر، واللبن واللحم. وشكل الطوارق قديما حلقة وصل بين الشمال الافريقي وبلاد غانا ونيجيريا، فقد اشتهروا بقوافل الملح izili الذي يحضرونه من منبا manba ومن «تاودني» وكان الملح من السلع النادرة قديما بحيث كان يقايض بوزنه ذهباً، كما ينقلون القماش والاعطية والفرش المصنوعة من الصوف القادمة من الشمال ويحملون من

الجنوب الذرة والدخن والارز الى منتجعاتهم ثم يسيرون في قوافل الى الشمال تحمل ريش النعام والجلود والسيوف، ولما كانت طرق القوافل من الشمال الى الجنوب وبالعكس مزدهرة قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة، فقد سيطر الطوارق على طرق هذه القوافل وكانوا يأخذون الاتاوات عنها وكذلك أجرة الخبرة لقيادتها وحمايتها والا فإن القوافل تتعرض للنهب من قبلهم. وكانت الطرق الشهيرة نحو الجنوب عبر الصحراء:

1 - المغرب: عن طريق عين صالح توات، تمنغست، زندر أغادس، كانو.

2 - ليبيا: طرابلس، غدامس، غات، أكازو.

3 - مصر: عن طريق الواحات، القفزة.

مساكنهم وطعامهم:

يسكن الطوارق خياما مصنوعة من الجلد أو الحصير أو القش، وبعضهم يسكن الكهوف. الطوارق يأكلون ما يجدونه، وغذاؤهم غير معقد، وهم صبورون على الجوع والعطش، وغذاؤهم الاساسي اللحم واللبن، ومتى وجدوا هاتين المادتين لا يطلبون بسواهما، ويأكلون القمح والشعير. يحرص الطوارق على تناول طعامهم بالملاعق، وكل طارقي يضع دائما ضمن زاده المعلقة لتناول الطعام، وإذا فقدوها عمد الى شجرة واقتطع منها عودا وشكله على شكل معلقة يتناول بها طعامه. واللحم المشوي شيء أساسي لدى الطوارق، فهم يوقدون النار ويضعون اللحم في الرمل الحامي حتى يصير اقرب للنضج، فيخرجونه ويأكلونه، ويعمدون الى معدة الحيوان ويفتحونها فتحة صغيرة ويخرجون محتوياتها ويغسلونها، ثم يضعون بداخلها قطع اللحم

والكبد والكلي والقلب والرئة، والملح ثم يشعلون النار، ويضعون فيها الحجارة الصوانية الصغيرة ويتركونها حتى تحمر في النار، ويضعونها الواحدة تلو الأخرى داخل معدة الحيوان المعدة للنضج، ويمسكون فمها باليد الأخرى ويحركونها بشدة، وكلما انتفخت وقاربت الانفجار يفتحون لها قليلا فيخرج البخار، وهكذا الى أن تبرد الحجارة ويكون اللحم قد نضج، وهنا يفتحون المعدة ويخرجون الحجارة ثم يرمونها بعيدا، ويتحلقون حول الشواء يأكلونه بنهم، وأغلب الطوارق لا يأكلون الدجاج ولابيضه. ولهم طريقة خاصة في صنع الخبز، كما أنهم يستخدمون التبغ «taba» بكثرة ويضعونها في أكياس صغيرة مصنوعة من الجلد، ويضعونها في جيوبهم ويتناولونها بين الحين والآخر بتخزينها في الفم.

الفنون والفناء:

للطوارق أشعار وأغان ومنشورات باللغة الطارقية تتحدث عن الحرب والحب والصحراء والجبال وسكون الليل وجلسة العشاق متشابكي الأيدي حول النار الراقصة، وذلك الإحساس الذي يستولي على الحبيبين فيشعران بالجمال الطاغي للحياة والقمر والنجوم ورقصة العصفور «مولامولا» أمام الخيمة ونشوة القلب حينما يفضي بأعمق اللواعج والعواطف وهم يغنون أشعارهم على «أمزاد» والطبول «تندي» والسلم الموسيقي خماسي، ولايعزف أمزاد الا النساء وإجادته علامة على حسن التربية، ونبيل عنصر الفتاة، ولبعضهم شهرة بين قبيلتهم يقطع لهن الرجال أميالا من الصحاري ليستمعوا إليهن. كتب.جان كلود كلوتشكوف عن موسيقى الطوارق تحت

عنوان «أرباب الموسيقى الحية»، أما عند البدو وخاصة الطوارق فإن الآلات الموسيقية تستعمل في أغلب الأحيان لمرافقة الغناء وهي تتألف من «أمزاد» وهي ربابة أحادية الوتر و «أغنب» وهو مزمار ذي أربعة ثقوب وأنواع عدة من الطبول ومن بينها الطبل العجيب «تيندي» وهم ضخم مصنوع من جلد الماعز ويفترض أن تجلس على حافتيه امرأتان وتتولى العزف عليه امرأة ثالثة، وهذه الآلات المختلفة توجد أيضا لدى قبائل البول وخلافا للحضر فإن الطارقي يعزف الموسيقى شخصيا دون أن يكون بحاجة إلى مطربين أو موسيقيين محترفين. الطوارق بشكل خاص يهون الشعر ويعشقون الاتيان في قصائدهم على ذكر أمجادهم ومغامراتهم البطولية والغرامية، وهم يتوجهون في كثير من هذه القصائد للمرأة التي تحتل موقعا أساسيا في مجتمع الطوارق، أما على الصعيد الموسيقي البحتة فالنساء هن اللواتي يعزفن على الآلات بينما يفضل الرجال الغناء وإنشاء الشعر.

الغناء ودوره في الحياة الطوارقية:

«اموهاغ» الطارقي " والغناء اثنان لايفترقان، الغناء والرقص هما الوسيلة الوحيدة للتسلية والترفيه في الصحراء، فالليالي الطوارقية لا يغيب عنها الأتاي والشواء وتيهردنت tih runt. ولجلسة الغناء طقوس تصل أحيانا إلى حد التقديس، وتختلف باختلاف المناسبة ونوع الغناء، ولكل مناسبة غنائية مؤدى ولحن هناك ألحان لاتوديهها إلا النساء، وللمراعي نوع خاص من الألحان، ما يسري على الغناء يسري على الرقص فلكل مناسبة رقصة معينة، بالإضافة إلى دور الغناء في الترفيه فإن المغني التقليدي «أكو»

هو بمثابة ذاكرة للمجتمع يخترن في عقله تاريخ المجتمع وأحداثه العظام ورجالاته، والقصائد الشعرية التي تقام في كل مناسبة.

المفني دأكول، دامسيول؛

المجتمع الطوارقي طبقات فهناك النبلاء، وإنهضان والخدم، ولكل فئة دورها في الحياة الاجتماعية، وتعتبر طبقة إنهضان وهم عادة من اصول غير طارقية، ولكنهم اكتسبوا ذلك بالمجاورة والمعاشرة وهم نوعان «إنهضن» وهم من يقومون بالصناعة التقليدية، و«أكوتن» وهم المغنيون التقليديون ويحصل أحيانا أن يجمع احدهم بين الصنعتين.

الفناء الطوارقي؛

لكل آلة عدد من الالحن، واللحن يتم نظمته كذكرى في مناسبة معينة فما أن يعزف أكو اللحن حتى يتذكر الحاضرون تلك المناسبة. «تيهردنت» وهي كآلة الجيتار لها ثلاثة أوتار وينظم عليها عدد من الالحن المشهورة كأنجرو وأن موشاغ ولحن اخديجا، وكما يتضح من الاسم فهو لإمرأة اشتهرت بجمالها وكرمها، وعزف اللحن في اية مناسبة هو حث على الالتزام بسير من كانوا سببا في إبداعه ونظمه وعادة تصاحب اللحن قصة تكتنز الكثير من الحكم والمواعظ والسيرة النبيلة. «أمزاد» جيتار أحادي الوتر وتعزف عليه عادة النساء وجل الالحن التي تخرج من هذه الآلة عاطفية «كالهوانيين» و«ياينتاني» والالحن التي تتحدث عن مساوئ الغربية.

«أغانيب»

القصب ذو الثلاثة فتحات أو الزمار

الزمار ولا يصاحبه أي غناء ولكن له تأثير كبير على أهل الصحراء نظرا لما تحمله ألحانه من حنين، ولاريب أن سكون الصحراء الموحش يزيد من تأثيره وهو الآلة الرئيسية للرعاة الذين يقضون عدة ليالي بعيدا عن منتجعاتهم. «تيندي» وهي الطبل الكبير وتستعمل في الحفلات الكبيرة، وتضرب عليها النساء، والرجال ولا تغيب عن حفلات الزواج تصاحبها رقصة المهاري وهي من أجمل الرقصات الطوارقية حيث يقوم النبلاء وهم في كامل زينتهم وقد ركبوا الجمال، بحركات راقصة منتظمة تتم عن براعة الفارس والمهرة أو الجمل، وهناك الغناء الذي لاتصاحبه أية آلة موسيقية ويأخذ أحيانا على سبيل مساجلة رجلين وله سحره الخاص يتولى كل شاعر ما تجيش به نفسه حزنا كان أو فرحا فيرد عليه الآخر بمثل ذلك بينما تقوم مجموعة من الحاضرين بالتعقيب بشكل جماعي مما يضيف على ليالي الصحراء الطوارقية سحرا خاصا لامثيل له.

تكوين الفارس؛

لم يعرف الطوارق خلال تاريخهم القديم أي تنظيم عسكري، فرجال القبيلة «طبقة الفرسان» كانوا يتكلفون بالدفاع عن حوزتها وعن مصالحها، فما أن يرى شيخ القبيلة الخطر حتى يدق الطبول لاجتماع والاستعداد للحرب، وعلى الفارس أن يجهز نفسه بنفسه، فالسيوف «تيكوبوين مفردها

تكوبا» والخناجر «تلخين» والرماح «أجور» والفرس «أيلس» أشياء يتفاخر فرسان إموهاغ بامتلاكها ووجودتها، ويعد إبرازها في اللبس أثناء الحفلات ولامناسبات الكبيرة، شيئاً محموداً، وتعرف مكانة الرجل بجودة سلاحه وقدرته على استعماله. أما التدريب على الحرب واستعمال السلاح وركوب الخيل والجمال بطرق متعددة (أثناء العدو والوقوف... الخ) ومقاومة الحيوانات المفترسة والزواحف، فتلك من مسؤوليات الاب إتجاه أبنائه، فما أن يبلغ الطفل العاشرة حتى يخصص له والده وقتاً لتلقيه دروساً في فنون القتال، فيخرجه الى أماكن بعيد عن أعين الناس لتدريبه، وتعليمه القدرة التحمل، يحرص على ألا يكون ذلك أمام والدته، لأن التدريب أمام الام يورث الحنان في قلب الطفل، فيجعل قلبه رقيقاً. مسؤولية الام تعليم الطفل الاداب والكتابة والواجب عليه حيال مجتمعه، ونسبه، وفضائل أجداده (تاريخهم) ليفاخر بها أقرانه وليحاول مجارات تلك الفضائل لتكون له مكانة مرموقة في مجتمعه كما كان شأن أجداده. ولعرفة مدى كفاءة الطفل يحرص الأباء في كل منتجع على إقامة مباريات المصارعة «تاسالت» "تبدأ بوضع خاص يقف الخصمين متواجهين ثم يتشابكان بالأرجل اليمنى والأيدي اليمنى، حينها يعطيا الحكم إشارة الإنطلاقة" بين أبنائهم وان كانت تأخذ الطابع الهزلي للأحس الاطفال بنوع من العداوة فيما بينهم، والويل كل الويل لمن يفشل في مصارعة أقرانه فالعقاب سيكون بإنتظاره بمجرد عودة الاب الى المنزل، فالفضل في المصارعة دليل على عدم قدرة الاب على إيصال المهارات الى ابنه، بالإضافة إلى التوبيخ الذي تلاحقه به اخواته بأن

اقرانه تفوقوا عليه في المصارعة والرمي، وأن ذلك سبب حرجا لآبيه امام اصحابه من فرسان الحي. ما أن يبلغ الشاب حتى يكون قد اكمل تكوينه العسكري والمدني فيكون قادرا على مواجهة أي خطر، وعلى استعداد للقتال بجانب فرسان القبيلة للدفاع عنها، فيتم اقامة احتفال بهذه المناسبة يلبس خلالها الشاب اللثام «تاكلموست» ليدخل في مصاف رجال القبيلة وفرسانها، فيصرح له بمجالسة كبار القوم ويؤخذ بمشورته، يحق له بذل ماله لمن يريد، والسفر الى حيث شاء ويحتل مكان أبيه اذا غاب سواء في مجلس القبيلة او في العائلة.

الطوارق والسيطرة الأجنبية الاستعمار الفرنسي؛

مع أنه لم يكن هناك تماسك قوي بين قبائل الطوارق، وكان من المألوف قيام غزوات بين القبائل الطوارقية نفسها كتلك التي حدثت بين كيل اهجر وكيل اجر بين عامي 1875 و 1878، إلا انه لم تسيطر أي قوة خارجية على موطن الطوارق قبل الاستعمار الفرنسي، ولم يواجه الفرنسيون حينما سعوا اول مرة لتوسيع امبراطوريتهم الاستعمارية مملكة طوارقية متحدة تمتد من مالي الى جنوب غرب ليبيا، غير أن قبائل الطوارق منفردة أظهرت قدرات تنظيم ومهارات عسكرية فائقة في الحاق الهزيمة بالحملات العسكرية الفرنسية القليلة التي غزت أراضيهم خلال القرن التاسع عشر، وبالرغم من أن الفرنسيين احتلوا مدينة الجزائر عام 1830، واعلنوا شمال الجزائر جزءا لايتجزأ من فرنسا عام 1848، فإنهم لم يتمكنوا قبل 1902 من إلحاق هزيمة عسكرية مهمة بقبائل الطوارق، ولم يتمكن الفرنسيون حتى العشرينات من

القرن الماضي من الالسيطرة الكاملة على المناطق الصحراوية.

الحركة الطوارقية:

ما أن بدأت حمى الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي في أوائل 1960، حتى تساءل سكان الصحراء «الطوارق» عن مصيرهم في ظل عالم متغير يتجه نحو الاخذ بالنظام الاوربي بشقيه الرأسمالي والاشتراكي آنذاك، وما مصير حضارتهم المتمثلة في هويتهم التي ما فتئوا يحافظون عليها من أي عادات وتقاليد دخيلة، مما حدا بهم الى الانقطاع في الصحراء، والتقليل من مخالطة غيرهم. كان الطوارق على علم مسبق بان الحكومة الاستعمارية «فرنسا» لم تكن راضية عن سلوكهم أثناء فترة احتلالهم، فقد امتنعوا عن مجاراتها في كل برامجها، وقاطعوا كل ماهو استعماري، شنت الحكومة الفرنسية إبان احتلالها للصحراء حملات على منتجعات الطوارق لحملهم على ادخال أبناءهم الى المدارس الاستعمارية، وكانوا دائما في المرصاد فما أن يسمعو بقدوم رجال السلطة حتى يبحثوا عن ملجأ آمن لأطفالهم، حتى أن القلة القليلة التي درست في هذه المدارس كان لها برنامج دراسي معين، وقد يظن البعض بأن ذلك كله بتأثير ديني محض، لكن رغم هذا المعطي الا أن الطوارق لم يكونوا ليمتنعوا عن تعليم أبناءهم لو رضخت السلطات الفرنسية لشروطهم في تلك المدارس، فقد كان مجموعة من شيوخ القبائل يطالبون دائما السلطات بإنشاء مدارس خاصة في المناطق الطوارقية تعمل على تلقين الاطفال العلوم الحديثة، بدون مسح لهويتهم وذلك بتطوير التعليم الموجود أصلا لدى هذه القبائل، ولم يكن الطوارق على استعداد

لارسال أبناءهم الى المدارس الاستعمارية في داكار وباماكو وأبيدجان بعيدا عنهم، تعمل على مسح هويتهم وتجعلهم غرباء عن مجتمعهم، بينما امتنعت السلطات الاستعمارية عن إنشاء المدارس في المناطق الطوارقية. على نفس النهج سار الطوارق في كل شأن فرنسي فعندما حاولت تجنيدهم في جيشها الافريقي، لم تحقق مرادها، فلم يكن الطارقي على استعداد للقتال من اجل أن تبسط فرنسا الاستعمارية نفوذها على المزيد من الاراضي ولا مصلحة له في العمل حاميا لسلطات المستعمر، ولا يقبل العقل الطارقي أيضا أن يقاتل من اجل تحرير مستعمره من الاستعمار، فلو كان لديه قوة لحرر نفسه من هذا الاستعمار. خير الفرنسيون الطوارق بين الانضمام للاتحاد الفيدرالي بين مالي والسنغال الحديث الاستقلال وبين إنشاء جمهورية في الصحراء على أن تبقى فرنسا في بلادهم لمدة ربما تزيد على ثلاثين سنة لتأهيل تلك الجمهورية فلم يكن الطوارق حسب فرنسا قادرين على حكم انفسهم بأنفسهم فلا بد من وصي، متناسين أن للطوارق قبل الدخول الفرنسي نظام حكم تعاملوا به منذ الاف السنين، كان هدف الحكومة الفرنسية هو البقاء في الصحراء للاستمرار في التجارب النووية التي كانت اول محطة لها في الصحراء بداية الخمسينيات. جمعت السلطات الاستعمارية شيوخ القبائل الطوارقية ونظمت لهم رحلة الى الديار الفرنسية لإطلاعهم على الحضارة الفرنسية والتقدم التكنولوجي الذي وصلت اليه لاقناعهم ببقاء الاستعمار على أرضهم، لكن يبدو أن فرنسا فشلت هذه المرة أيضا في تحقيق مرادها فلا شيء يعادل الحرية لدى الطارقي، وهنا كان للعامل الديني أيضا دور

كبير في اقناع زعماء القبائل في الاستفتاء باختبار الانضمام لمالي والنيجر، فهذه شعوب اسلامية تجمعهم بالطوارق الروابط الدينية، على أن الطوارق سيمارسون حياتهم كما ألفوها، ولكن هذا لايعني عدم وجود معارضة طارقية إمتنعت عن السير في هذا الإتجاه العقاب الاستعماري كان بالمرصاد وحيل الاخوة الاعداء في الواجهة، فقد ظلت فرنسا تحتفظ بجزء كبير من الارض الطوارقية في الشمال «لم تستقل الجزائر بعد» وقسمت مناطق أزواد على مستعمرتيها مالي والنيجر، بحيث يتم خلق أقلييات طوارقية في كل دولة «بعد حوالي اربعين سنة من ذلك ها هي ذا قبائل الطوارق مقسمة بالحدود الاستعمارية التي تفصل ما بين الجزائر ومالي والنيجر وليبيا، وقد اصبح الطوارق اقلية في كل من هذه الدول ليس في مقدرتها لعب أي دور سياسي وتم القضاء على إتحاد هذه القبائل وهم الآن مهددون بالذويان في شعوب هذه الدول.

مالي... الطوارق:

modibokaita وهو معلم Instituteur منحدر من أسرة حاكمة قديمة في منطقة مالي وأسس حزب: «الاتحاد السوداني u.S الذي بنى مبادئ الاشتراكية على غرار sekoutoure في غينيا، بعد تسلمه الحكم بدأ بإعدام جميع شيوخ أزواد ونقل أعداد كبيرة من السود الى الشمال، الى كيدال خاصة، و حاول إرغام الطوارق على التزاوج مع سكان الجنوب لتهجينهم، انتزع الاراضي الزراعية من ماليكها وتم توزيعها على العمال الذين كانوا يعملون لدى الملاك الأصليين بنصف المحصول، احصاء المواشي وإدخالها في

الملكية الجماعية للدولة، منع الطلاب الطوارق من ولوج الشعب العلمية في المدارس، وتراجع عن كل الوعود التي التزم بها إبان الاستفتاء. كان ذلك كافيا لقيام الطوارق بالثورة ضد حكومة مودي بوكيتا، البداية كانت بحدث طارئ مالبث أن تطور الى أحداث غيرت مجرى العلاقة بين الطوارق وسكان مالي.

ثورة كيدال:

البداية كانت مجموعة من الشباب الطوارق icumar في منطقة kidal سنة 1961، لكن سرعان ما لقيت تجاوبا كبير من قبل جل القادة، وتحرك السكان لدعم إشومار، ولم يكن باستطاعتهم مجابهة الجيش الحكومي نظرا لقلة الامكانيات خاصة الاسلحة فلم يكن بحوزتهم سواء مجموعة بنادق قديمة بعضها مخصصة للصيد، لكن رغم ذلك كبدوا الجيش الحكومي خلال سنة من القتال الذي أخذ شكل حرب عصابات الكثير، ولم يستطع مودي بوكيتا القضاء على الثورة الا بمساعدة من الجزائر ودول الجوار خاصة المغرب، اذ تم محاصرة المجموعة الطوارقية في الجبال، ومارس الجيش الحكومي سياسة العقاب الجماعي بمهاجمة المنتجعات وقتل الشباب اقرباء الثوار وأهلهم، وارتكاب المذابح ضد الرحل من الطوارق والشيوخ، وتسميم الابار، وقتل الماشية او مصادرتها، كما طالب نظام Modibokaita السلطات البلدان المجاورة بتسليم القادة اللاجئين لديها منذ «الاستقلال» فسلمت الجزائر والمغرب معا مجموعة 35 قائد أودعوا جميعا الحبس في باماكو وحكم عليهم بالاعدام، ما أن قمعت الثورة وقتل من قتل، وسجن من سجن حتى بدأت الهجرة الجماعية الى البلدان المجاورة الجزائر و ليبيا، موريتانيا،

خوفا من بطش الجيش الذي أصبح مطلوق اليد من منطقة الشمال لايراجع حتى الجندي الاقل رتبة في أي عمل وحشي ضد الطوارق لان ذلك من قبل قمع الثورة والثوار والمحافظة على وحدة الوطن. ولشدة البطش الذي مارسه نظام مودي بوكيتا بدعم من الجزائر والمغرب، على الطوارق لم يسمي الكثير من الكتاب ما حصل عام 1961 ثورة كيدال بل مأساة كيدال، ورغم ذلك اعتبر الطوارق هذا التمرد مرجعا لكل عمل يقومون به ضد حكومة مالي والنيجر، فقد أبانت هذه الثورة عن فجوة كبيرة وعن تباعد وتنافر عميق بين الطوارق وحكام مابعد "الإستقلال". مالي من جهتها أخذت من ثورة كيدال عدة دروس، فالطوارق لن يعترفوا بحكومة بامكو، ولا يمكن تثبيت الحكم في الشمال الا بقوة السلاح، وهو ما اعتمدته حكومة مالي الى اليوم، ولم يكن ذلك ممكنا لولا الدعم الجزائري وهو أمر واضح كل الوضوح «في مالي قام الطوارق عام 1961 بانتفاضة ضد الحكومة فسارع رئيس الجمهورية الى إخمادها بمساندة من جانب بعض وحدات جيش التحرير الجزائري».

موجة الهجرة:

احدثت ثورة كيدال 1961 وما صاحبها من قتل وتعذيب وإبادة للثروة الحيوانية تراجعها كبيرا لكل من ظن بادئ ذي بدء بأن الحياة في ظل «دولة الاستقلال» ممكنا واصبحت القناعة بالانفصال والاتحاد في اطار دولة واحدة المبتغى الوحيد للطوارق. لم يكن أمام الطوارق سوى مواطن إخوانهم في الجزائر وليبيا ملجأ لهم، ومكانا آمنا من ملاحقات الجيش المالي، الذي ما انفك يمارس اعمال العنف في «الشمال» ضد كل من يتراء له أنه من

مؤيدي الانفصال أو الثورة أو حتى التنديد بالابادة الجماعية التي مارستها السلطات ضدهم إبان الثورة. كانت الوجهه الى الجزائر، وليبيا والنيجر، ومنها الى نيجيريا في عصرها الذهبي، والبعض واصل الرحلة نحو الديار المقدسة «السعودية» والى موريتانيا. في هذه البلدان وجد الطوارق فرص عدة كالعمل والتعليم، وتبدلت حياة الكثيرين منهم، وأدركوا مدى اهمية استعمال المجال الاعلامي لتسليط الضوء على قضاياهم. وفي سنة 1969 استولى الضابط معمر القذافي على الحكم في ليبيا بعد اطاحته بالملك ادريس السنوسي، وظهرت ليبيا كقوة بترولية مما أتاح فرص العمل الجيدة، والتعليم، وانكبت على ليبيا اعدادا هائلة من الشباب الطوارقي «اشومار» بحثا عن العمل، وزاد من موجة الهجرة هذه فتح السلطات الليبية للحدود الجنوبية الغربية، واعلانا الترحيب بالطوارق واعتبار ليبيا موطننا لهم، ادمجت سلطات القذافي، الشبان الطوارق في جيشها، والمتعلمين في إداراتها العمومية، وأتاحت الفرصة لصغارهم للإلتحاق بالمدارس الحكومية. حظى الطوارق بمعاملة خاصة من قبل السلطات الجديدة في ليبيا، فتجمعت العائلات وتلاحقت القبائل وتم الاستقرار لكثير منهم في المدن الكبرى. وكان الحكم الليبي بحاجة لهم :وأحى الأمل في نفوس «اشومار» وهياً لهم الظروف الجيدة للاعداد لثورة جديدة ضد مالي والنيجر على السواء طلبا لحقوقهم المغتصبة.

سياسة الموت البطئ:

في مالي استولى اليوطنان موسى تراورى على الحكم في نونبر 1968

في مالي واعتقل موديوكيا. لم ترتكب حكومة موسى تراوري مذابح ولا أعمال عنف ضد الطوارق كذلك التي ارتكبتها سلطات الديكتاتور مودي بوكيتا. انتهج موسى سياسة القتل البطيء عن طريق التهميش في ظل اظهاره لسياسة تهتم باسراك الطوارق في الحياة السياسية، قرب أطر طوارقية ونصب مجموعة من الوزراء الطوارق في وزارات مهمة، في وقت كان الطوارق في الشمال يعيشون مأساة حقيقية، فالجوع فتك بمجموعات منهم في الصحراء، بينما ماتت مئات عطشا في طريقهم الى أقرب دولة هروبا من الهلاك في الصحراء القاحلة بعد خسرانهم لثرواتهم الحيوانية إثر جفاف السبعينات. لم تقدم الحكومة اية مساعدات تذكر لمناطق الشمال لتخفيف من اثار هذا الجفاف، اللهم الى ما قدم لمن التحقوا بالمدن الجنوبية، وكان القصد من ذلك هو ارغام الطوارق على الهجرة الى البلدان المجاورة وهو ما حصل بالفعل او الاندماج في المجتمع الجنوبي لضمان بقاءهم تحت أعين أجهزة الدولة. اتسمت فترة السبعينات في منطقة أزواد بجفافها المروع الذي عانى منه الطوارق ايما معاناة، فقد جاء عقب اصعب فترة عاشها الطوارق الا وهو فترة ما بعد ثورة كيدال، ذهب هذا الجفاف بالبقية الباقية من الثروة الحيوانية، وجفت فيه الابار، واستنجدت حكومة موسى تراوري الذي حكم بعد قيادته لانقلاب ضد الرئيس الشيوعي السابق مودي بوكيتا، وأودعه السجن في منطقة «تودني» شمال مالي، بالمساعدات الخارج، وأخذت السلطات الجديدة تتجار بالآم شعب الطوارق ومخلفات الجفاف على المنطقة والانسان، لاستجداء المساعدات الأجنبية، تدفقت على المنطقة

الجمعيات الانسانية والمساعدات مقدمة من الدول الكبرى لدولة مالي، لكن رغم ذلك لم يصل الى مناطق الطوارق منها شيء، وبقوا يصارعون ويواجهون مصيرهم دون معين او مبال بمحتتهم، فالتجأ مزيدا منهم الى الدول المجاورة، والى دول السعودية وفرنسا، وقلة قليلة الى مدن الجنوب (باماكو، سيغو،... الخ) وبعض البلدان الافريقية كساحل العاج وغانا ونيجيريا.

ثين تيراضن 1990 بعد كيدال 1961:

لا يمكن الحديث عن ثورة الطوارق الأخيرة 1990 بمعزل عن عن ثورة كيدال لسنة 1961، كما لا يمكن الحديث عن ثورات الطوارق في مالي والنيجر دون الرجوع الى الأسباب الحقيقية والمتمثلة في مخلفات الإستعمار الفرنسي وما نتج عنه من تغيير في ملامح المنطقة جغرافيا وإنسانيا وخلق كيانات جديدة، وتغيب إرادة السكان الطوارق أو التحايل عليها، مما جعل المنطقة مرشحة لنزاعات لاتنتهي إلا لتبدأ من جديد، فأنظمة ما بعد " الإستقلال " لم تتدارك هذه الوضعية الغير طبيعية ولم تنتهج سياسية لتخفيف من أثارها الكارثية على السكان، على العكس سعت الى فرض سياسيتها بالقوة، مما أجج المعارضة ضدها. السياسة العدائية التي إنتهجتها حكومتى مالي والنيجر بعد الإستقلال، ضد الطوارق، أفضع من السياسية الإستعمارية الفرنسية، أدرك الطوارق بعد كيدال 1961 بأنهم إستفتوا في حقيقة الأمر "الاستفتاء لم يكن في طبيعته على شكل الاستفتاء المتعارف عليه، إذ لم يشمل السكان بل فقط بعض شيوخ القبائل"

على قيام نظام إستعماري بديل عن الإستعمار الفرنسي، لا على نظام دولة عصرية ديمقراطية تضمن لهم حقوقهم المدنية، يتعايشون فيها مع عدة شعوب دون أن يفقدوا هويتهم. "سنرجع يوما لا من أجل شئ سوى الثورة مرة أخرى ضد تلك الأنظمة" ذلك كان لسان حال من هاجر من الطوارق بعد المذابح التي أرتكبتها الجيش المالي والجزائري ضدهم بعد ثورة كيدال، في الغربية كان حلم العودة يخامر العقل وذكريات الأمس الأليمة تشحن الهمم لتغيير الواقع وليس الإنتقام، لم ينقطع السؤؤل عن الأحوال وهل الظروف الدولية تسمح بالعودة بل بالثورة؟ ماذا بالإمكان فعله؟ الجواب كان الإنخراط في التدريبات العسكرية والمشاركة في المعارك الحربية علي الجبهة الليبية التشادية، كانت الوجة الى ليبيا تزداد يوما بعد يوم، تهريب أسلحة الجيش الليبي نحو الصحراء في إزدیاد رغم العقوبات، "لاشئ يحول دوننا والثورة" تم إختيار سنة 1990 كبداية لثورة، فالظروف الدولية تسمح، موجة الديمقراطية ضد الحكام الذين إستمروا في الحكم لعقود دون أن يبذلوا جهودا لتغيير الواقع الإقتصادي المأساوي للسكان، موسي تراوري حكم مالي مابين سنتي 1968 و1991، مظاهرات يومية في جامعة مالي للمطالبة بتغير الوضع الإقتصادي وسن نظام ديمقراطي، في النيجر كان الوضع أكثر مأساوية، فالقادة الطوارق لاجئون في ليبيا والإعدام بإنتظارهم بمجرد العودة. الطوارق تكونوا بما فيه الكفاية، منهم رجال قانون ودين وأطر عسكرية، يمكنهم إنتزاع حقوقهم إذا ما إتحدوا" تم إنشاء جبهات عسكرية لإسترداد الحق الطوارقي المغتصب، بعد التحركات الأولى والهجوم على

ثكنة عسكرية بمنطقة تين تبراضن أبانت حكومة مالي عن نيتها العدوانية إرتكبت القوات المالية أبشع الجرائم ضد المدنيين الطوارق العزل، مع إستمرار المجازر، بعد إنتهاء الحرب الليبية التشادية فاوض إشومار سلطات ليبيا بشأن وعودها السابقة المتمثلة في مساعدتهم في تمويل الجبهة الشعبية لتحرير أزادو، حصل الطوارق بالفعل على أموال من ليبيا، لكن نظير خدمات قدموها لكنهم لم يكونوا أبدا موالين لليبيا بدليل دفاعهم عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والجهوية. انتقلت الجبهة الشعبية لتحرير أزادو بقيادة إياد أغ غالي الى شمال مالي لمواجهة القوات العسكرية المالية في واحدة من أكثر حروب العصابات إتقانا، الهجمات كانت تستهدف الثكنات العسكرية مع إنبلاج الفجر وتستولي على أسلحة الجيش دون أن تسجل أية إصابات بين المدنيين، الجيش المالي كان يرد بالهجوم على السكان الطوارق العزل، وذلك لضغط على الثوار، بعد فشلها في كسب أية معركة ضد إشومار. كسب الطوارق المعركة ضد نظام موسى تراوري، وكسبوا دعم الساكنة في مالي، خرج السكان في مظاهرات في كل أنحاء مالي يرددو "كلنا طوارق"، أدانت المنظمات الحقوقية المذابح التي إرتكبتها القوات المالية ضد الطوارق العزل، رفع رئيس المنظمة الدولية للدفاع عن حقوق الأقليات "jean pierre valanti" رسالة للرئيس الفرنسي السابق فرنسو ميتران يطالبه فيها بسرعة التحرك في قضية الطوارق بحكم علاقات بلاده بجمهورية مالي، وطالب فالنتي من كل الفرنسيين أن يعبروا عن عميق آلامهم للرئيس الفرنسي وحكومته وأن يطلبوا بمحاكمة المعتدين من أصحاب القبعات الحمراء الدين أبادوا

الطوارق. يقول فالنتي في الرسالة التي رفعها الى الرئيس الفرنسي "jean afrique magazin mai 1992" "بأن فرنسا تستطيع وقف هذه المشكلة ولديها القدرة على ذلك" في إشارة منه لمسؤولية المستعمر السابق. واستغرب فالنتي للمساعدات السخية التي تقدمها فرنسا لدولتين "مالي والنيجر" لا تكفان عن إبادة شعبها" الطوارق". بعد هذه الرسالة تدخلت فرنسا ودعت سلطات مالي الى الجلوس الى طاولة المفاوضات مع الثوار الطوارق.

إتفاقية تمنراست الأولى؛

سعى الرئيس المالي موسى تراوري ،وقف هجمات الطوارق ضمن أولوياته ،فألوضع الداخلي لا يحتمل ،النداءات الدولية أصبحت تحاصره، والثوار يكبدون الجيش المزيد من الخسائر، وظاهرة الهروب من الجيش في إزدیاد،بعد زيارة للجزائر ولقاء بوزير الشؤون الإنسانية الفرنسي "كوشنار" عبر الرئيس تراوري عن إستعدادة للإستجابة لكل مطالب الطوارق، عقد إجتماع بين الحكومة المالية والجهة الشعبية لتحرير أزاود بتمنراست جنوب الجزائر بحضور جزائري قوي تم توقيع الإتفاقية التي تنص على وقف الهجمات من الطرفين وسحب القوات المالية من المنطقة السادسة "تينبكتو" والمنطقة السابعة "كيدال" والعمل على منح المنطقتين حكما ذاتيا،بالإضافة الى تخصيص جزء من المداخيل لتنمية المنطقة"-jean afrique maga-zin December 1991" بعد توقيع الرتفاقية إمتنعت السلطات المالية عن نشر بنودها في الجريدة الرسمية، رغم إلحاح أعضاء الوفد، نشر البيان الصحفي، الذي إستغلته المعارضة والجيش لإيهام السكان بأن الرئيس باع

جزء من البلاد، ونشرت مقالات تقول بأن الطوارق مرتزقة يقاتلون بإسم ليبيا وإنهم لا مطالب لهم. تم تأليب السكان ضد الرئيس والطوارق في إشارة واضحة من الجيش على أنه ضد الإتفاقية، وأن الرئيس عليه التراجع عنها، تلاحقت المظاهرات وساد الغموض، ليقوم الجيش بالإطاحة بالرئيس وبالإتفاقية "Tidmi Les Touaregs déchires joel Donnet" "FEVRIER 1995"

الانقلابيون... وخطة تطهير الصحراء من الطوارق:

قائد الجيش المقدم توماني توري "الرئيس الحالي، عاد لرئاسة بعد انتهاء ولاية أول رئيس منتخب ألفا عمر كوناري"، يقود انقلاب ضد الرئيس موسى تراوري ويعتقله وأعضاء حكومته، ويستولي على الحكم في 16 مارس 1991، ويعلن الغاء اتفاقية تمنغست «تمنراست» الموقعة بين الحكومة والشوار بعد شهرين من توقيعها، وأعلنت حالة الطوارئ في مجموع أنحاء البلاد، وأمر الجيش بتطهير الصحراء من الطوارق «فأصبح الطوارق كالظباء هدف للصيد أينما وجدوا مستهدفون من قبل الجيش والسكان على حد سواء»، وتفنن الجيش في اباداة الطوارق مرتكب أبشع الجرائم، وأفطع المجازر، واتجه النظام الجديد الى إشاعة كذبة يعتبر فيها المسألة داخلية فالأمر يتعلق بحرب بين عدة قبائل متساكنة في منطقة واحدة والدولة تعمل كل مافي وسعها لتطويق الخلافات، ولاصلاح ذات البين، ولتجسيد الفكرة على أرض

الواقع دعم النظام «عبد الله محمد الامين ميكا» الصنغاي على انشاء حركة «عنداغوى» وتعني ملاك الارض، وهي جبهة قومية يتألف معظم اعضائها من قبيلة صنغاي، ونفت الحكومية في بداية الامر وجود هذه المنظمة، لكنها ما لبثت ان اعترفت بها، وبدعم الكثير من ضباط الجيش لها، فكوادرها كانوا يمارسون نشاطهم في العاصمة، بل اصدروا جريدة ناطقة باسمهم، ولم يخفوا اهدافهم العنصرية في هذه الوسيلة الاعلامية المنتشرة في جل أنحاء مالي «صوت الشمال la voix du nord» وقد تلقت هذه الحركة دعما عسكريا سخيا من قبل الرئيس توماس توري والذي تلقى بدوره دعما من قبل الدول الغربية لقمع الثورة الطوارقية كما صرح بذلك في لقاء له مع مجلة jeune afrique وان كان ذلك سرا خاصة من فرنسا وأمريكا، وأقام عدد من ضباط الجيش بتدريب عناصر غنداغوى على السلاح والأساليب العنصرية للقتال، وكان «هماد همان كيت» يترأس الجناح العسكري لهذه الحركة فيما كان يمولها مجموعة من رجال الاعمال الصنغايين في الشرق الاوسط، واتخذوا كشعار لهم «ان الحركة غنداغوى هي الحركة والثورة التي ستجرف معها البدو» يعني الطوارق وبدأ منذ ذلك الحين اطلاق مصطلح «البدو» أو «الرحل» الطوارق وفي الاعلام، واعتبارهم شعب تائهة لاموطن لهم فهم جسم أجنبي في التنظيم الاجتماعي في مالي، واخذت هذه المليشيا المسلحة ترتكب المذابح تلو المذابح، وهجومات على العناصر المدنية الطوارقية، ولم يحدث قط أن سجلت مواجهة بينها الثوار وبين الطوارق كما لم يحدث أيضا تسجيل أي هجوم طوارقي ضد المدنيين.

عودة الى النزوح:

لم يجد المدنيين الطوارق سبيلا للنجاة من الموت سوى الهجرة، فلا الجيش على استعداد لحمايتهم، ولاهم يملكون الوسائل الكفيلة بالدفاع عن أنفسهم، وقدرت مصادر صحفية عدد النازحين من أزواد الى الجزائر وموريتانيا، وبوركينا فاسو بـ 200 ألف شخص خلال شهرين فقط من اندلاع المواجهات، فيما وصل العدد الاجمالي للاجئين الطوارق في موريتانيا الى حوالي 100 ألف لاجئ استخدموا الابل والحمير والاقدام، وتنتقل سيارات تابعة للجبهات لنقل الفارين، كما يقتحم الثوار مناطق لا يحتفظ فيها الجيش بوجود قوي ليرحلوا المدنيين، وأدرك المتابعون للوضع أن هناك رغبة الحكومة الحالية في اخلاء المنطقة من المدنيين الطوارق. تم تجميع النازحين على الحدود لاحصاءهم من قبل المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للامم المتحدة، وتحصل لهم على إذن من قبل الدول المستقبلية بالدخول لينضموا الى من سبقوهم، وأثناء تجميعهم يواجه المهاجرين ظروف ومصاعب كبيرة، فالاجراءات تتم ببطء كبير، تجعلهم يقضون أكثر من خمسة أيام عند نقطة العبور يحتمون بالاشجار القليلة الموجودة في المكان من حر شمس الصحراء الحارقة ومن المطر، وقليلون منهم يأتون بصرة قمح يصنعون منها وجبات لاطفالهم، تقول شابة خجولة قابلها أحد الصحفيين في مكان تجميع النازحين، وهي تشير الى توأميها ذوي الشهرين: «ماذا اصنع بهذين الطفلين؟ ان ثديي لا يخترنان حليباً، ولست أدري هل يستطيع توأمي الصمود أكثر من يوم. اتجه الى الجزائر 180 ألف

نازح، والى بوركينافاسو 50 الف. وفي أحيان كثيرة يكون الفارون هدفا للقتل من طرف الجيش المالي ومليشيا غندا كري بلا تمييز بين النساء والاطفال والرجال.

عودة المواجهة:

تحلل الثوار الطوارق من الاتفاق عادوا الى شن حرب ضد مالي ونظموا انفسهم في عدة جبهات انشقت معظمها من الجبهة الامة «الحركة الشعبية لتحرير أزواد» التي يرأسها اياذ اغ غالي، والتي وقعت اتفاق سلام مع الجنيرال موسى تراوري في تمنغست «تمنراست» وعادت المواجهة بقوة، وأصبحوا يهاجمون المدن الكبرى مثل تنبكتو بعد أن خلت من ساكنتها من الطوارق، ورغم أن المواجهة لم تكن متساوية فبينما كانت مالي تحصل على دعم سخي من فرنسا وحتى بعض الدول العربية كما أكد ذلك محمد اغ اشراش منسق الجبهات في لقاء مع صحف عربية، لم يحصل الطوارق حتى على الدعم الاعلامي لقضيتهم فما بالك بالمساعدات الاخرى «أما نحن فصحيح اننا في هذه الحرب نحتاج الى دعم وحماية المجتمع الدولي خاصة تلك الدول الداعمة لمالي مثل فرنسا والدول العربية وغيرها، خاصة وان مالي هي السبابة الى نقض المعاهدة التي أبرمها الطوارق معا عند قيام رئيسها توماني نوري بتدمير كل شيء، والحاق الضرر بأزواد وأهلها، وقيام الجيش بارتكاب مجازر ضد المدنيين في تومبوكتو وغيرها.

توزعت الساحة الازوادية في شمال مالي خمس منظمات عسكرية هي

الجبهة العربية الاسلامية لتحرير أزواد، ويقودها الذهب ولد سيدي محمد، وتمثل الجبهة كما يفهم من اسمها المجموعة العربية في أزواد، وتتألف من القبائل نفسها الموجودة في موريتانيا، وتحظى بدعم موريتانيا، ويرأسها في البداية أحمد ولد سيدي محمد وهو دبلوماسي موريتانيا سابق، لكن مجموعة الذهبي قادت انقلاب ضده نظرا لموقفه المتصلب اتجاه الحوار مع مالي. - الجيش الثوري لتحرير أزواد ويقوده عبد الرحمن اغ فله - الجبهة الشعبية لتحرير أزواد بقيادة غسى اغ سيدي محمد وهو عسكري متشدد لم يقبل توقيع أي اتفاق مع مالي، ويظل الى اليوم الاكثر احترام بين الطوارق نظرا لموقفه الثابت اتجاه الوضع. - الجبهة المتحدة لتحرير أزواد وهو فصل يضم المنشقين من كل الحركات الطوارقية. - الحركة الشعبية لتحرير أزواد التي يقودها آياد اغ غالي وهي الحركة الام لكنها ترملت بفعل الانشقاقات المتكررة.

الحكومة الديمقراطية واتفاقية تمراسات الثانية «تمنغست» pacte national

أتت اول انتخابات رسمية في مالي بأستاذ التاريخ الفا عمر كوناري رئيسا للبلاد، وكان اول قرار اتخذه هذا الاخير انهاء الحرب مع الطوارق بعقد اتفاقية معهم سميت معاهدة تمراسات «تمنغست» الثانية، عراشترط على الطوارق التخلي عن فكرة الاستقلال عن مالي وعبر عن استعدادة لأي حل في اطار الوحدة الوطنية حسب زعمه، وتحركت الالة الديبلوماسية بين باماكو والجزائر وباريس وطرابلس ونواكشوط وواغادغوا، وبالفعل تأتي لرئيس

مالي مايريد، وتم عقد اجتماع حضرته دول المنطقة بالإضافة الى فرنسا في باماكو، وذلك يوم 11 ابريل 1992 للتوقيع على الاتفاقية أو ما اصطلح عليه «المعاهدة الوطنية pacte national ويحصل بموجبها اقليم الشمال على استقلال ذاتي محدود «اللامركزية» في ادارة شؤوته ويخصص جزء من الميزانية المالية التنموية للرفع من مستوى المعيشية في هذه الاقاليم، ويتم انشاء مكتب في باماكو تحت اسم مكتب شؤون الشمال لتقديم الاقتراحات اللازمة لحل معضلات المنطقة كما يتم ادماج عدد من المقاتلين الطوارق في الجيش المالي على ان يتم ادماج البقية في الحياة المدنية، وقد استندت المعاهدة على اقتراحات قدمها مجموعة من الخبراء ارسلتهم فرنسا ك «ادكار بيزاني edgard pizani رئيس معهد العالم العربي بباريس آنذاك، وأحمد بابا مسكي الفرنسي ذو الاصول الموريتانية، والخبير المالي الصنغاي أبو بكر حيدرا، وطالب الطوارق بلجنة دولية لضمان الاتفاق، وتفعلية وانشاء لجنة لتقصي الحقائق حول المجازر التي وقعت في الشمال ومحاسبة المرتكبين، ولم يتم تنفيذ زي بند من بنود الاتفاق سوى ادماج مجموعة قليلة من «أشومان» في الجيش، لكن سرعان ما هربوا منه بسبب المعاملة السيئة التي تلقوها من قادته الذي كانوا يعترضون عن المعاهدة ويؤيدون الحل العسكري، عادت المواجهة اكثر ضراوة بين المقاتلين الطوارق والجيش، وتعذرت مالي بقله الامكانيات المادية، وأن ذلك هو السبب المباشر في عدم تطبيق الاتفاق، وقامت بحملة ديبلوماسية على الدول المجاورة بقصد منعها من احتضان القادة الطوارق، ونجحت في ارغام هذه الدول على طردهم واقناعهم بالعودة الى

طاوله المفاوضات والرضا بالقليل ولو كان شخصا، والمطالبة عبر الوسائل السلمية بتنفيذ بنود الاتفاق المبرم بعد أن أظهر الرئيس جديته على السير نحو إنهاء المسألة ، وقدمت عدة جمعيات انسانية مساعدات ووعدت بتنفيذ مشاريع انمائية في الشمال لصالح الطوارق، وكعنوان عي حسن نية الطرفين تم اقامة مهرجان في تبكتو باسم «شعلة السلام» حرق فيه اسلحة الجبهات الطوارقية بحضور الرئيس وسفراء بعض الدول الاوربية والمغربية، لكن هل تم تنفيذ بنود «المعاهدة الوطنية acte national.

الطوارق في النيجر 30 عاما من التقلبات السياسية؛

حصلت النيجر على استقلالها عام 1960 وكان الرئيس «جوري هاماني» أول رئيس بعد الاستقلال "ابنته سفيرة النيجر في المغرب" الذي نعم الطوارق في عهده ببعض الاستقرار، فلم ترتكب ضدهم مذابح كتلك التي عانى منها الطوارق في مالي، ولكنهم كانوا على هامش الحياة في النيجر ولم يستمر هذا الوضع طويلا. ففي عام 1974 نجح سيني كونشي في تدبير انقلاب عسكري ضد الرئيس هاماني ليتولى السلطة بعده، وبعد سنتين من حكمه قاد شاب طوارقي انقلابا فاشلا ضده 1976، وكان ذلك بمثابة انذار وجه للحكم في النيجر، فقام الجيش بارتكاب مذابح شبيه بتلك التي ارتكبتها جيش مالي ضد الطوارق في 1961. وبدأت موجة هجرة طوارقية نيجيرية الى ليبيا والجزائر هربا من غضب الرئيس الجديد، وقطعت السلطات النيجيرية علاقاتها مع ليبيا واتهمتها بتحريض الطوارق على التمرد، واستمرت السياسة الجديدة للحكومة النيجيرية ضد الطوارق الى

ان توفي الرئيس سيني كونشي عام 1987 ليتولى الامور بعده الرئيس الانتقالي على شعيب الذي وعد بفتح صفحة جديدة مع الطوارق، وعاد مجموعة من القادة الطوارق الى النيجر، وقام الرئيس الجديد بزيارة الى ليبيا لتحسين العلاقات، ولتقديم ضمانات للطوارق يشجعهم على العودة، وفعلًا رجع الطوارق الى الشمال، وقدمت عدة منظمات انسانية مساعدات لتوطينهم، لكن السلطات لم تغير من تصرفاتها رغم ضمانات الرئيس، فقد كانت تجمع كل مجموعة من الطوارق العائدين من أرض خلاء لأماء فيها، وتحرسهم على أساس أنهم متمردين وتمنع تزويدهم بأية مساعدات انسانية، ومع استمرار تحرشات الجيش خطط مجموعة من أشومار لعملية عسكرية ضد الحكومة، هربوا بعدها إلى الأراضي المالية بالقرب من «تين تبراضين» هي المدينة التي بدأت منها الثورة كانوا قد استولوا على اسلحة في ملك الجيش لكن سرعان ما اعتقلتهم السلطات المالية، وأودعتهم سجنًا في مدينة «منكا» ليتم تسليمهم للسلطات النيجيرية، ولكن مجموعة مسلحة من طوارق مالي هاجموا السجن ليلا وفكوا سجن ثوار أيير، وأبان الطوارق في النيجر عن نطح كبير في تسير حركتهم واعطاءها صدا اعلاميا كبيرا في العواصم الاوربية، وكسبوا بذلك تعاطف المجتمع الاوربي حتى أن البرلمان الاوربي هدد بوقف المساعدات عن دولتي مالي والنيجر ما لم تحسن معاملتها للطوارق، وتم عقد جلسة خاصة للبرلمان لاوربي للاستماع لوفود من مالي والنيجر ومن الطوارق. كما أنهم صمدوا في وجه اي محاولات لعقد اتفاق

مع الحكومة النيجيرية الى أن تم عقد اتفاق يضمن لهم حقوقهم المدنية في بوركينافاسو بمساعدة فرنسا والجزائر، ولم يكن بوسعهم الذهاب بعيدا، ما دام جل حكومات المنطقة ترى أن الاتفاق هو السبيل الوحيد لحل المشكلة، حتى أن ليبيا التي كانت تبدي بعض الممانعة على ذلك، أصبحت ترى أنه لاشيء سوى الاتفاق يمكن أن يوقف الحرب في الشمال حيث اللا أمن على حدودها مع النيجر والجزائر، فما عسى الطوارق يفعلون؟^{١٩}. وتوصل الطرفين الى عقد اتفاق برعاية الحكومة الفرنسية والجزائرية في بوركينافاسو مثل بالمعاهدة التي وقعت بين الطوارق والحكومة المالية، ولكن تلك المعاهدة لم تحظى بموافقة احد اهم قادة الفصائل الطوارق في النيجر الا وهو غيسى أغ بولا، فدبرت له فرنسا مكيدة تبعده عن المفاوضات، كان يشكو من مرض في بطنه فتم ارساله الى فرنسا للعلاج، وبينما كان الحوار دائرا بين الحكومة والطوارق لتوقيع المعاهدة كان غين أغ بولا غائبا في احد المستشفيات الباريسية، تم التوقيع بدون حضوره وبالنيابة عنه، وفوجئ بذلك بعد خروجه، وطلب للحكومة الفرنسية ارجاعه الى حيث يتمركز مقاتليه لكنها رفضت ذلك، بل اشترطت عليه ان كان يريد العودة أن تكون العاصمة نيامي هي محطة الهبوط، ليضطر إما الى قبول الاتفاق أو يتم اعتقاله، فرفض فتركته السلطات الفرنسية يجول في الازقة بدون تقديم اية مساعدات له تذكر.

الحركات الطوارقية

في مالي

الجبهة الإسلامية العربية لتحرير أزواد تمثل التجار والمجموعة العربية في أزواد وهي بيد بعض الشخصيات الموريتانية وتلقى دعمها أنشأها دبلوماسي موريتاني هو أحمد ولد سيدي محمد قبل أن تقود مجموعة يقودها الذهبي ممثل مالي في تاهيتي ، إنقلابا عليه، لكن تأثير أحمد ولد سيدي محمد لا زال هو المسيطر، أغلب قادة هذه الجبهة يعيشون حاليا في نواكشوط ولهم علاقات وطيدة مع جبهة البوليساويو لكون القبائل الحسانية في شمال مالي إمتداد للقبائل الحسانية في جنوب المغرب والجزائر. ولابد من التذكير بالدعم الذي يقدمه تجار موريتانيين في إفريقيا لهذه الجبهة القريبة في مبادئها من الجبهة الإسلامية للإنقاذ الجزائرية.

الجيش الثوري لتحرير

أزواد يقودها السيد عبد الرحمان قلة وقع الإتفاقية مع السلطات المالية سنة 1994 ويعمل في السفارة المالية بالرياض وله علاقات وطيدة بالجالية الطوارقية في السعودية، التي تعتبر دعامة أساسية للجبهات.

الجبهة الشعبية لتحرير أزواد

يقودها السيد غيسى أغ محمد لم توقع الإتفاقية ويحظى بإحترام السكان يعيش في مالي بعد وساطة ليبيا، معاد للجبهة الإسلامية ويتهمها بالعنصرية وأنها تمثل مجموعة قليلة من السكان ذوي الأصول العربية

والذين هم في الأصل مهاجرين وليسوا سكانا أصليين.

الحركة الشعبية لتحرير أزواد

يقودها إياد أغ غالي وهي الأصل الذي تفرعت عنه بقية الجبهات، وقعت إتفاقيات سلام مع مالي وتم دمج مقاتليها في الجيش المالي. لإياد أغ غالي دور مهم في مالي خاصة في منطقة كيدال وله علاقات مع الجماعات الإسلامية لنظرا لميوله التبليغية.

في النيجر

حركة تموست

أنشأها طوارق كانوا لاجئين في فرنسا وعلى رأسهم مانو دياك وساهمت في نشر الوعي بالقضية الطوارقية وقعت إتفاقية مع السلطات النيجرية، لكن وفاة قائدها في سقوط الطائرة وإتهام السلطات بالتورط في هذا الإغتيال ، أعاد الأمور الى سابق عهدها وإن لم تندع الحرب مرة أخرى.

الحركة الشعبية لتحرير أيير وأزواد

ويقودها غيسي أغ بولا وزير الصناعة التقليدية السابق في النيجر، وقعت الإتفاقيات وتراجعت بعد إتهام زعيمها بالإختلاس وسجنه، لكن الوساطة التي قام بها معمر القذافي حالت دون إندلاع الحرب لكن هذه الحركة لا زالت تحتفظ بأسلحتها شمال النيجر ولديها متعاطفون كثر بين طوارق ليبيا.

شمعة السلام

إمتنع الطوارق عن الحضور للتظاهرة التي أقامتها حكومة كوناكري بتنبتكتو بعد المواجهات العسكرية التي أعقبت اتفاقية السلام الثانية وهي الاتفاقية التي يقول الجانب الطوارقي بأن الظروف هي التي ارغمته على توقيعها بسبب الضغوط التي مارستها معظم الدول المجاورة عليه، بالإضافة الى الظروف الاقتصادية التي يعيشها الطوارق نظرا لموجة الجفاف، وإعدام القوات الحكومية خلال سنوات الحرب الخمس للمئات من الثروة الحيوانية التي تعتبر العمود الفقري للحياة الاقتصادية الطوارقية، وذلك بتسميم مياه الابرار. ولعدم تضمن الاتفاقية لشروط الطرف الطوارقي، حيث كان القادة الطوارق يشترطون للتوقيع على الاتفاقية محاكمة بعض قادة الجيش الذين ارتكبوا مذابح ضد الشعب الطوارقي خلال سنوات الحرب وهم معروفون لدى الاطراف الطوارقية بل يذكرونهم بالاسم، و الذين ظلوا يمدون مليشيا «غنداكو» بالسلاح، لكن هؤلاء الجنيرالات مازالوا يرابطون مكانهم ولم تكلف الحكومة نفسها حتى عناء اقالتهم من مناصبهم رغم ما ارتكبه من خروقات تمس بحقوق الانسان شهد عليها العالم كله في مدن: كاو، تمبتكتو، ليرا، وغيرها، وهذه هي الاسباب التي جعلت من تظاهرة السلام المزعومة خالية من حضور أية شخصيات طوارقية فاعلة بالرغم من الدعوات التي وجهت لهم، وبالرغم من الحضور المكثف لممثلي الدول الإفريقية والاسلامية والاوربية. وقد لاحظ بعض الدبلوماسيين الاوربيين خلال

التظاهرة الغياب شبه التام للطوارق عن الحدث، مما حدا بهم الى التصريح لوكالات الانباء بأنهم يتخوفون من تجدد المعارك، فلا سلام بدون فتح حوار حقيقي مع ممثلي الشعب الفاعلين، وفي غياب ديموقراطية حقيقية قوامها احترام حقوق الإنسان، وغياب تنمية تضمن العيش الكريم لسكان الاقليم بعد سنوات من الاهمال والتهميش. لتبقي الاتفاقية مجرد حل ترقيمي في ظل غياب نية حقيقية للمفاوضة لإيجاد حل جذري يستحيب للمطالب الحقيقية للشعب الطوارقي. قبل تنظيم تظاهرة شمعة السلام قام الرئيس المالي الف عمر كوناري آنذاك بجولة في عدة دول افريقية وعربية، فبعد ليبيا حل الرئيس المالي بموريتانيا في زيارة رسمية استغرقت عدة أيام لإطلاع الرئيس الموريتاني على آخر الاستعدادات لتنظيم حفل «شعلة السلام» في تمبكتو، واعترف الرئيس المالي لنظره الموريتاني بهشاشة السلام الذي يجري تنفيذه مع الجبهات الا أنه قال بأنها خطوة نحو ارساء السلام الشامل والدائم والامتناع عن اللجوء الى العنف والسلاح، وحث ألفا كوناري(الآن أصبح الأمين العام للاتحاد الإفريقي)، موريتانيا على المساعدة في التعجيل بعودة اللاجئين الطوارق الى مالي، والذين يبلغ عددهم 34 ألف لاجئ. الرئيس ألفا كوناري شدد خلال زيارته المتعددة لدول الجوار ضرورة اعتزال القادة الطوارق الذين لم يوقعوا علي معاهدة السلام والذين التجئوا الى تلك الدول، للعمل السياسي من خلال ضغط هذه الدول عليهم واشترائها عليهم عدم قبولهما ممارستهم للعمل السياسي او الاقل التزام الحياد، وتقييد حركاتهم مقابل تقديم بعض المنافع الذاتية لهم!.

فشلت تجربة الإدماج العسكري؛

فشلت تجربة ادماج المقاتلين الطوارق ضمن الجيش المالي فغالبا ما تنزلع «أعمال شغب» داخل ثكنات الجيش ادت إحداها الى مقتل عقيد طارقي، وهروب عدد كبير من المدمجين الطوارق بأسلحة وسيارات الجيش، بعد أن قتلوا عدد من الجنود، وكان من المتوقع أن تفشل عملية الإدماج فقيادة الجيش المالي كانوا يرفضون الحلول السلمية للمشكل الطوارقي ويحبذون الحلول العسكرية، يسانداهم في ذلك بعض قادة الاحزاب «الديمقراطية» بل حتى مجموعة من اعضاء الحزب الحاكم الذي ينتمي اليه الرئيس السابق "كوناري" والحالي توري، لكن ضغوط الدول الأوروبية المقدمة للمساعدات والتي تشترط تطبيق معاهدة السلام الوطنية كشرط اساسي لتقديم المساعدات، واستقدام الاستثمارات ارغمتهم على الجلوس الى مائدة المفاوضات، فمالي تعيش ازمة اقتصادية خانقة سببتها بالاضافة الى الحرب والازمة الاقتصادية الدولية، توقف تدفق السياح الاجانب عامة والاوربيين خاصة، والذين تعتبرمناطق الطوارق جاذبة لهم، فقد أنشئت في أوائل الثمانينات رحلات تربط بين عاصمة اقليم أزواد «تمبكتو» وبعض العواصم الاوروبية لنقل السياح، أضف الى ذلك ان الحكومة المالية ألغت استجاء مساعدات العالم عن طريق نقل مشاهد البؤس التي يعيشها سكان الشمال من الطوارق، وهو ما أثمر فعلا حيث قدمت عدة جمعيات انسانية مساعدات، وقامت بإنشاء عدة مشاريع استثمارية، لكن المساعدات والمشاريع اتجهت الى جهات أخرى غير المقدمة لها. بعد عدة سنوات من الحرب، وعدت الجمعيات

الانسانية والمجموعة الاوربية بتقديم مساعدات لاعادة ادماج اللاجئين في الحياة الاقتصادية، وتسهيل سبل عودتهم، وإقامة عدة مشاريع اقتصادية في منطقة الشمال، لدعم السلام والمسيرة الديمقراطية وهو ما تراهن عليه مالي لتجاوز ازمته الاقتصادية. قادة الجبهات الطوارقية من جهتهم راهنوا على كون لا مالي ولا النيجر باستطاعتها تطبيق معاهدات السلام، وذلك للتفكك الحاصل حول تلك المعاهدات بين الجيش والدولة من جهة والاحزاب والدولة من جهة أخرى، كما أن تهميش القادة الطوارق الذين لم يقبلوا الاتفاق لعدم ادراج عدة نقط مهمة والمتمثلة في منح اقليم ازواد حكما ذاتيا كأقل مكسب، وخلق نظام تعليمي خاص يأخذ بعين الاعتبار الهوية الطوارقية، وتسهيل تنقل الطوارق بين الحدود الجزائرية المالية من جهة والمالية النيجرية من جهة أخرى لخلق نوع من التواصل بين الطوارق لضمان عدم ذوبان وتحريك الإقتصاد التقليدي المحلي، هذا التهميش يجعل الطوارق غير مطمئنين لاي اتفاق مع مالي خاصة وأن هؤلاء القادة اللذين تم تهميشهم هم الاكثر شعبية في المجتمع الطوارقي، وهو الامر الذي يجعل اللاجئين يشترطون للعودة الى مالي ضمان أمنهم للاتكون العودة مصيدة لارتكاب مذابح اخرى ضدهم، كما حصل سنة 1993.

تواحه مالي الآن حالة تمثل بالفعل دليلا ساطعا على فشل الاندماج، فقد قام جنيرال طارقي بالانسحاب من الثكنة التي يقودها أوائل 2006 وتوجه إلى الشمال ورغم الوساطات المتعددة لازال مصرا على موقفه.

الحركة الطوارقية والدول المخارية أية علاقة؟

شكل الطوارق على مر السنين حلقة وصل بين الشمال الافريقي وغرب افريقيا، وكان هؤلاء المحاربين في المقام الاول رأس الحربة لكل حملة عسكرية تعبر الصحراء من الجنوب الى الشمال كالحملة المرابطية، أو من الشمال الى الجنوب كحملة السلطان أحمد الذهبي السعدي، وظل الطوارق لسنين حماة لمعابر القوافل بين الشمال الافريقي وجنوبه مما أكسب منطقتهم موقعا استراتيجيا وازدهارا اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا استمر حتى نهاية القرن الثامن عشر، حيث ازدهرت مراكز تجارية كانت فيما سبق محطات لراحة القوافل او اسواقا موسمية، كمدن تندوف tindouf، وأروان ar-wan، وتوندي tundi، وتمنغست tamenghast، وتنكبوتو tinbektou، التي اصبحت فيما بعد مركزا حضاريا وثقافيا مهما في الغرب الافريقي حيث خرجت مدارس تنكبوتو عددا كبيرا من رجالات العلم والادب والذين كالعلامة احمد باب التنكبتي، وظلت مكتباتها بغية لطلاب العلم من جل اصقاع العالم الاسلامي، واكتسبت مكانة تجارية لاتضاهيها أية مدينة في الغرب الافريقي الى أن أخضعها الاستعمار الفرنسي سنة 1893. إبان العهد الاستعماري منح اقليم ازواد أبيض azwad ayyir الاستقلال الذاتي لفصله عن بقية الاقاليم الشمالية والجنوبية كمحاولة لتطويق المنطقة وفصلها عن محيطها الاقتصادي، فأزواد يخضع كاملا للسلطة الاستعمارية الى سنة 1932. بعدها التحق العديد من رجالات الطوارق بحركة التحرير الجزائرية، كما احتضنوا العديد من قادتها الذين هربوا من ملاحقة

السلطات الاستعمارية لهم، لكن ذلك لم يكن ليشفع لهم إبان «الاستقلال الذي كان بمثابة الفأس التي قسمت ظهر البعير، فلم يكن خافيا أن السلطات الاستعمارية سوف تستأثر بأية فرصة للانتقام من الطوارق بسبب مواقفهم ضدها، فقد امتنعوا عن الالتحاق بالجيوش الفرنسية واعترضوا على بقاءها في الصحراء وإنشاء جمهورية الصحراء لاحقا، وامتنعوا عن التمدرس في المدارس الاستعمارية وكفروا من يلتحق بها. ولم يكن التفريق والتشتيت أقل عقابا تلحقه فرنسا بالطوارق فهي على يقين بأن ذلك ما لم يكن الطوارق ليحتملوه، ولقطع الطريق امام الرفض الطوارق لهذا التفريق والتشتيت، سارعت الدول المستقلة حديثا عن فرنسا لعقد اجتماع للمصادقة على الحدود الاستعمارية الموروثة كأمر مقدس لايجب المساس به، وجاء الرد الطوارقي على شكل عصيان مدني قمعته السلطات المالية malienne والنيجيرية nigerienne بوحشية وبمساندة بعض الدول «المغاربية» وكمبادرة من هذه الاخيرة قامت بتسليم زعماء الطوارق الذين لجأوا اليها لمودي بوكيتا؟ وعلى الرغم من ذلك فالدول المغاربية كانت الواجهة الوحيدة التي لجأ اليها الطوارق هربا من قمع الادارة العسكرية التي تبنتها السلطات المالية والنيجيرية ضدهم، فلجأوا بالئات الى الجزائر وموريتانيا وليبيا وبأعداد اقل الى المغرب، وقد تم استغلال هذا اللجوء أبشع استغلال فني ليبيا تزامن هذا اللجوء مع قيام الثورة الخضراء فقامت بتدريب اعداد كبيرة من الشباب الطوارقي، ودفعت بهم الى الجبهة الحدودية مع تشاد حيث الحرب قائمة لاستعادة اقليم أوزو uuzzu، بل إنها دفعت بهم للمساهمة

في الحرب العربية ضد إسرائيل، لكن الظروف تبدلت وحاولت الجماهيرية التكفير عن ذلك بتقديم مساعدات لهم وتوطينهم واحتضان ثورتهم وعلان دفاعا عن حقوقهم. أما الجزائر والتي ظلت الى اليوم تمارس نفوذا لامثيل له على ملفات وقضايا الصحراء الكبرى من النيجر مرورا بمالي وانتهاء بالصحراء الغربية بعد أن تنازل لها المغرب عن الشرقية، فقد شكلت مخاوفها من انتقال العدوى الى جنوبها ذو الغالبية الطوارقية ذريعة لحشر أنفها في كل صغيرة وكبيرة من الشأن الطوارقي فبجهود منها تم عقد أول مؤتمر للدول الاربعة المحتضنة للرقعة الطوارقية في مدينة «جانت dj Janet» على الحدود الجزائرية الليبية، والذي اخذت فيه الضوء الاخضر من اجل إرغام الحركة الشعبية لتحرير أزواد على ابرام اتفاق سلام مع الحكومة المالية «معاهدة تمنراست»، والذي وصفه احد اعضاء الوفد الطوارقي ب «السلام عبر القهر» في لقاء مع إذاعة فرنسا الدولية، وذلك كإشارة منه على أن التوقيع كان نتيجة الضغط الجزائري، لكن مجموعة من اشومار لم تستسغ هذا الضغط الجزائري اعلنت انفصال عن الحركة الشعبية وعدم اعترافها بالمعاهدة، فعادت الحرب بضراوة الى الشمال المالي لكن الجزائر لم تكن لتترك الامور تسير كما يهوى الطوارق خاصة وأن الزعيم الطوارقي المنشق عن الحركة الشعبية غيسى محمد اعلن بأنه لامجال للتفاوض مع مالي الا على الاستقلال وإنشاء كيان طوارقي في شمال مالي والنيجر. تحركت الجزائر على كل الواجهات لفرض «المعاهدة الوطنية» فهمشت غيسى محمد،

وذلك بإبراز رجالها على الواجهة الدبلوماسية كالذهبي محمد ممثل الحركة الاسلامية العربية، وأحد نواب غيسى، وبمبادرة منها قامت الدول المجاورة بتضييق الخناق على قادة الطوارق وابلغتهم بأنها لم تعد لتحتمل المزيد من القلاقل على حدودها، وان السلام القهري هو الطريق الوحيد أمامهم فتم توقيع «المعاهدة الوطنية» التي بقيت حبرا على ورق، وذلك بحضور ممثلين عن الدول المغاربية بالإضافة الى فرنسا.

موريتانيا بدورها استقبلت مجموعة من اللاجئين الطوارق، وكانت ترى بأنها باحتضانها لعدد من الزعماء الازوادين ستمارس نوعا من الضغط على مالي التي تستضيف بعض النشطاء السياسيين والعسكريين للأقلية الافريقية الجنوبية المناوئة لها، لكن المصالحة الاخيرة بين السلطات الموريتانية وهذه الاقلية بعد التعديل الدستوري الذي اعترف لها بحقها، وتحسن العلاقات مع السينغال بالإضافة الى الضغوط المالية والجزائرية جعلها تعلن حالة الطوارئ على حدودها، وتمنع الحركات الطوارقية من استعمال اراضيها كقاعدة خلفية وشدت الخناق على اللاجئين وطلبت منهم العودة الى مالي، ومنعت القادة السياسيين الطوارق من ممارسة اي نشاط، ونصحت البعض منهم بترك اراضيها. كل هذه الظروف اجبرت الطوارق على التقوقع والاستسلام في ظل تجاهل عالمي لمحتهم وتكالب الدول المجاورة عليهم.

طبيعة حركة الطوارق

ما طبيعة حركة الطوارق؟ هل هي حركة وطنية مثل الفلسطينيين، أم حركة

شعوب اصلية؟ أم هي مزدوجة الطبيعة ethnonationalistes؟ وهذا يظهر جليا بمقارنة مشكلة الطوارق بالاكرد والتبت Tibet وبحركات دينية مثل البروتستانت والكاثوليك في ايرلاندة؟ أو الهائيين في ايران؟ أي بالضبط ماهي القوة المسيطرة force dominante التي يناضل ضدها الطوارق؟ لمحاولة الاجابة على هذه الاسئلة نورد فقرات من كتاب Les touargs por-trait en Fragment ص 98، الطوارق موزعون بين خمس دول: الجزائر، ليبيا، مالي، النيجر، بوركينا فاسو، وفي كل واحد من تلك البلدان يجد الطوارق انفسهم اقلية، على المستوى الديموغرافي، والسياسي، والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، واللغوي» والوضعية الحقوقية للطوارق بهذا المفهوم هي أقليات داخل دول وطنية minorités dans des états nations، وهم حركة وطنية ضد الاستعمار الفرنسي ونتائجه التي منها تقسيم ارضهم الى خمس دول، وهم شعب واحد وأرض واحدة.

أسوأ انواع الصراعات هي تلك التي تسعى بالفعل الى محو وجود الآخر «المستضعف» ثقافيا أو عسكريا «القوة» لسبب غالبا مايكون ايديولوجيا او توسعيا. القضية «المسألة» الطوارقية في دولتي مالي والنيجر والجزائر وليبيا، هي من قبيل تلك الصراعات، و من أبرزها، حيث يعاني شعب الطوارق القهر والاضطهاد لعقود من الزمن لا لشيء سوى أنه متمسك بهويته، لا يريد أن يكون اخر «غير ذاته» وذلك في ظل تجاهل عالمي (إعلاميا وإنسانيا، فبينما نجد مثيلاتها من القضايا بارزة في الصحافة على مدار الايام، لاتذكر مآسي الطوارق الا نادرا، وغالبا ما سيكون ذلك النزر القليل

ضدا على مطالبهم المشروعة، فأكثر المتناولين لموضوع الطوارق من المتبنين لبعض المناهج الايديولوجية التي لا تتمشى وحقيقة المسألة ككل. لم تضاف اتفاقية السلام الموقعة بين الطوارق وحكومة مالي والنيجر أي جديد على الوضع في «الشمال» حيث مواطن الطوارق، فلا زال المدنيين الطوارق معرضون لهجمات مليشيات الحكومية بل ان البعض منهم اصبح من الوجوب عليه دفع ضريبة ليسمح له بدخول المدن كتينبكتو، وكاو، وغيرها، في وقت لم تحرك فيه الحكومات الديمقراطية اي ساكن، بل إنها تدعم في الاعمال الاجرامية.

كيف يمكن لنا التوفيق بين كلمتي الديمقراطية والاجرام؟ بماذا نفسر اغتيال واختفاء المئات من المدنيين الطوارق منذ سنة 1990؟ هل السلطات لم تلاحظ هذه التصنيفات؟ لماذا لم تعاقب الفاعلين؟ لماذا لم توقفها من باب اضعف الايمان؟ أم أن هناك سياسة اخرى تنتهجها الدولة؟ هذا ما يتبين من خلال قراءة الوثائق الحكومية، وما تنشره الصحف عن المسألة الطوارقية في كل من مالي والنيجر، وللأسف حتى الصحف الدولية، إن الخطاب المهيمن هو «ان الطوارق جماعات غير متحدة سياسيا ولا اقتصاديا، وأنهم رجال لاوطن لهم» وهذه الفكرة اتخذتها النيجر مرجعا في محادثاتها مع الطوارق، وقد تزامنت هذه الاطروحات مع ميلاد الجبهات المسلحة الطوارقية لاثبات عدم شرعية المطالب الطوارقية بالاستقلال والغاء الطابع السياسي للحركات الطوارقية، لجعل عملياتها المسلحة منفردة ومنعزلة. وهناك أطروحة قديمة كانت تستعمل إبان عهد الاستعمار، ولكن تم تطويرها

على يد منظري المليشيات الحكومية التي تسمى نفسها "ارباب الارض غنداكوى" وتتلخص في كون «شعب الشمال «اي الطوارق» شعب تائه لا وطن له، أتى من الصحراء على شكل قبائل والحل الوحيد ارجاعهم الى وطنهم الاصلي، ولا بد من تنظيف مدننا وقرانا وارضا من الرحل فلندفعهم ..» . هناك اطروحات اخرى جيء بها لتبرير العنف والتصفية ضد الطوارق، ومن ضمنها ان الشعب الطارقي شعب يمثل البدائية للتطور الانساني، وهو ما يجعله ناقص من الناحية العقلية والاقتصادية والتنظيم السياسي والوحدة والتجانس والافكار، وبالتالي قصور في الحضارة... وهو رمز للهمجية، والطوارق هم تجار الرقيق كأى الطوارق هم وحدهم تجار رقيق دون غيرهم من المجتمعات كل ذلك؛ يجعل العنف ضد الطوارق شيئا مباحا!!، لذا اصبح الخطاب المهيمن... «الثوار الطوارق مجرمون مسلحون عنصريون، وتجار رقيق، الاجرام طبيعتهم، كل تماشق جسم اجنبي في نسيج اجتماعي»، فلم يعد هناك فرق بين تاجر وسارق وطارقي. وهذه ايديولوجية قديمة حاول المستعمرون الفرنسيون ترسيخها في الذهن نظرا لما لقيه الاستعمار من نفور طوارقي اتجاه كل ما جاء به، ولخير دليل على قدم هذه الاطروحة الاستعمارية اتهام الطوارق بقتل المكتشف البريطاني Gordon long عام 1826، لكن التحقيق الذي أجرته بريطانيا فيما بعد برأ الطوارق وأظهر أن الذين دبروا مذبحه Gordon هم الفرنسيون بمساعدة احد حكام طرابلس لسرقة مذكراته وخرائطه!!.

من سمع ليس كمن رأى

"وصف لحالة الطوارق في شمال مالي أواخر سنة 1998 من خلال رحلة قام بها مبعوث إحدى المنظمات الدولية".

وصل الى عاصمة دولة مالي «باماكو» عن طريق الجو، ووجد بانتظاره احد الاخوة الطوارق الذي آخذه الى منزله الكائن في وسط المدينة، لكن في الطريق اخبره بوجود بعض اللاجئين فرافقه الى حيث هم، كان الخوف ظاهرا وباديا على وجوههم وقد يستغرب المرء من لجوئهم الى باماكو، الا اذا علم بأنهم لاجئون في سفارات بعض الدول الغربية التي تخشى الدولة من تسجيلها لاي خرق لحقوق الانسان مما قد ستكون له عواقب وخيمة. بعدها غادر باماكو متوجها الى مدينة تينبكتو بواسطة طائرة لانعدام الامن في الطرق المؤدية اليها فوجئ بعد وصوله وهو يظأ أرض المطار بقدميه بجو كالح المنظر تظهر عليه علامات البؤس و...ويغلب عليه جو الاطلال المهجورة كل شيء ينطق بلسان الالبكم الحزين الذي يريد أن يفصح يصيح بوجه العالم ليدركوا ما بداخله من الام وهواجس، ولايستطيع...؟؟ كان قد ترك المدينة منذ عدة سنوات، ولما نزل فيها اصبح يسأل نفسه «أهذه مدينة تمبكتو العامرة التي عهدتها وكل شيء فيها يبعث السرور في النفس أم غيرها؟». فكل شيء فيها انتهى وودع الحياة، وعلمت الحياة، وأصبحت اطلال تسفها الرياح، وتعصف بها العواصف . «رأيت آثار الدمار المبكي والحزن والمورث الاسى مما خلفته المدافع والدبابات التي قصفتها حتى كادت أن تكون رمادا تسفه الرياح، شاهدت كل شيء فرأيت البؤس قد خيم على أهلها مما لاتستطيع العين أن

تراه الا ورقرت بالدموع من المقل، وكادت القلوب أن تتفطر كمدا وحزنا على ما حصل لاهل المدينة الاثرية «بلغ الهلع بسكانها مبلغا عظيما لحد أن أحدهم إذا رآك تقصده ينفر من أمامك هائما على وجهه بما معه، والسبب يرجع الى ماعانوه من اضطهاد مدبر في حكومة مالي وجيشها، عندما تخرج من المدينة الى ضواحيها حيث تقطن غالبية سكان الاقليم، ستقف على حقائق السكان «الطوارق» والذين يشكلون بقايا من المشردين الى الدول المجاورة، وقد اتخذوا من الغابات وسهول الاودية مساكن لهم هربا من الجيش ومليشيات «غنداكوى» هذه الاخيرة التي تشكل اكبر الخطر عليهم لمعرفة بمخابئ المنطقة ومظان وجود هؤلاء السكان العزل من السلاح.. ترك السيارة وآثر الجمل وسيلة لتنقل بسبب ما تحدثه السيارة من إزعاج للطوارق، فما أن يسمعو صوت السيارة متجهة صوبهم حتى ينفروا من أمامها فريما كانت من دوريات الجيش الحكومي تلاحقهم.

اموهاغ «الطوارق»:

لاجئين في أرضهم

هوية مضموعة...

انسان تفنتك به الامراض وأرض مليئة بالخيرات، والتاريخ والاثار اعتمد اموهاغ «الطوارق» بعد اندثار تجارة القوافل بين جنوب وشمال القارة الافريقية التي كانوا رودوها على الرعي، وتربية المواشي، والزراعة بشكل اقل في اقتصادهم. وكما هو شأن مجتمع الرعاة ظلوا يجوبون الصحراء التي احبوها لانها ترمز الى الحرية والعزة، بحثا عن الكأ

والماء. لكن اعتمادهم على تربية المواشي بشكل أساسي دون غيره كان احد الاسباب في عدم قدرتهم على الصمود إبان سنوات السبعينات أمام زحف الجفاف على بلادهم، والذي راح ضحيته الالاف منهم، أمام مرأى شعوب العالم الغنية، دون اية مبادرة لإنقاذهم فاضطروا الى الهجرة الى عدة بلدان بحثا عن الرزق، وملجأ آمن اثر ملاحقات جيوش دول المنطقة لهم، لأنهم لم يألفوا الإذعان لاحد. قساوة صحراءهم التي اعتادوا عليها، وجعلت منهم رجالا قساة الى حد تشبيهه اماجع «الطارقي» بالجمل لقدرته على التحمل، ومقاومة العطش. لم يكن إموهاغ «الطوارق» يعرفون بأن ارضهم تحتزن الخيرات التي تكفيهم، وتجعلهم يعيشون في عزلة، كما ألفوا دون الاحتياج لمد أيديهم للمنظمات الدولية، فهم رفضوا الدخول الى المدارس الاجنبية الاستعمارية، ونبذوا كل من يدخل اليها منهم لا لشيء سوى الخوف على هويتهم «تموست» من الاندثار، واتباع هوية الغالب والمتفوق وظل الطوارق رغم كل شيء يعتبرون أنفسهم متفوقين لأنهم حافظوا على هويتهم. نفذت الادارة الاستعمارية سياستها وسلمت الى تلاميذتها مفاتيح أرض الطوارق، قسمتها دون ان تراعي تاريخ المنطقة، والاعتبارات الاقتصادية والقبلية، والعرقية، وذلك بما يخدم مصالحها الاقتصادية. يعيش إموهاغ اليوم على ما تقدمه لهم المنظمات الدولية الغربية من معونات غذائية، بينما تجني دول كمالى والنيجر والجزائر مئات الملايين كعائدات من السياحة الاربوية الوافدة عل منطقة تينبكتو، وكيدال، وتمنراست واكدز حيث تعتبر الصحراء وحياء إموهاغ، وتقاليدهم، وصناعتهم التقليدية اسطورة تلهب خيال السائح

الاوربي، وبغض النظر عن عائدات السياحة في مناطق اكادز وزند على حكومة النيجر، فمخزون اليورانيوم في الشمال حيث جل السكان من إموهاغ «الطوارق» وما يمثله ذلك في الناتج القومي للدولة يجعل زائر المنطقة يستغرب للحالة المأساوية للسكان الذين لا يجدون ما يسدوا به جوعهم فما بالك بالرعاية الصحية والتعليم والخدمات، وقس على تلك الحالة حياة إموهاغ في جنوب الجزائر حيث يتدفق الغاز والبترول في الجنوب بينما يعيشون على ما تقدمه لهم الحكومة من معونات كصدقات تنقطع كما أبدوا غير ما يرتضيه الحكام. الطوارق هوية مقموعة، وسكان يفتك بهم الجوع والأمراض، وارض مليئة بالخيرات وآثار وتاريخ عظيم، تلك هي حالة ازواد وآيير والهكار، فالى متى!؟

المراجع:

- les touareg du hoggar " للمؤلف hote.hfayol مطبوعات fayol باريس 1944 مجلة جون أفريك عدد 1938 في 3-3-1998.
- المسالك والممالك لشريف الإدريسي.
- حلقات عن الطوارق نشرت في جريدة الشرق الأوسط للباحث والصحفي الجزائري بن بيلال.
- كتاب النيجر اليوم للكاتب الفرنسي جان كلود كليشكوف من منشورات مجلة جون أفريك
- كتاب مغامرات في الصحراء للكاتب المصري مصطفى محمود منشورات دار العودة بيروت" عبارة عن مذكرات رحلة قام بها الى الصحراء جنوب غرب ليبيا".
- إبن خلدون كتاب العبر.
- الباحث مدني عامر "جريدة الشرق الأوسط عدد 5604 في 2-4-1994.
- الإستبصار في غرائب الأمصار لكاتب مجهول رحلة
- إبن بطوطة ص" 701 أورد المحقق في المعجم اللغوي قوله" مسوفة أهل اللثام يريد بهم الطوارق
- أما النيل فيقصد به نهر النيجر
- حضارة العرب لغوستاف لوبون.
- أزواد "أزواغ" موطن الطوارق ويشمل مناطق شمال مالي والنيجر" آيير" والجنوب الجزائري

والجنوب الشرقي ويطلق عليه ذلك لأنه يأخذ شكل الطبق وتربيته حمراء وأزواغ هو الأحمر . الحجي
أمي باحث طارقي له مجموعة من المخطوطات عن الطوارق.

Voir: "Les touaregs portrait et gragment" Héléne Claudio - Hawad,
Page : 10.-15- 38- Les touaregs et la "paix Françaises" tribal et TIFINAGH
6 Mai 1995, Page:122 39- Jeune Afrique Magazine : Mai 1992 47--N! 5
TIDMI "Les touaregs dechires jöel Donnet, N! 13 du 7 ou 13 Fevrier
1995 48-(1) Bulletin d'information de l'Association "survie Touaregue
5. 1994/95, The international work-Temoust" N!2 printemps 195, Page : 4
groupe for indiginaro affairs Rapport annuel d'Amnestay international
-1994, Page :178 D.HAMANI: Viyy N! : 4 Avril 1994 "jeune Afrique" 28
العربي العدد 244 مارس 1979 إستطلاع لسليم زبال بعنوان أنقذوا تمبكتو... جريدة صوت الشمال
"الناطقة باسم حركة غندا كوي في مالي. مجلة الوسط رقم 132 في 8-1994 33- السياسة بين
السائل والمجيب رقم 1 مؤسسة آدم للنشر والتوزيع مالطا.



الشمس: 10 دراهم